

# تاريخ المغرب الكبير

الجزء الأول

تأليف : محمد علي دبوز  
أستاذ الأدب والتاريخ في معهد الحياة بالجزائر



## كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله  
تجمعين

عزيزي القارئ! إن المقدمة التي يجب على كل مؤلف أن يبين فيها للقراء موضوع  
كتابه، والدواعي لتأليفه، وطريقته فيه، هو ما قدم إليك في الجزء الثاني، والجزء الثالث.

الآن في هذه الكلمة الموجزة أريد أن أهيب بعلماء المغرب وأدبائه وحكوماته أن يهبوا  
لكتابة تاريخهم القديم والحديث. فقد حارب الاستعمار تاريخنا، وعقل أعلام علمائنا عن  
كتابته كما يجب، وحرّم المغرب من معرفة تاريخه المجيد، وحرّم الأمة العربية والإسلامية  
والعالم المثقف كله من معرفة حقيقة المغرب كلها في قديمه وحديثه؛ فها هو الاستعمار  
قد زال والحمد لله، فيجب أن نهب لواجبنا في هذا الباب، إن من ثمار الاستقلال الكبرى  
التي يجب أن يجنيها المغرب من الاستقلال، وإلا لا يكون للاستقلال ثماره اللازمة، انطلاق  
أعلام علمائه وأدبائه، سيما في باب التاريخ القديم لنظهره من أكاذيب السياسة القديمة  
والاستعمار الحديث. تلك الأكاذيب التي شوّهت صفحات المغرب الغراء وتلك السموم  
الاستعمارية التي تفرقه، وتشقق عصاه.

ها هو المغرب كله -والحمد لله- يحظى باستقلاله، فيمر على استقلال الجزائر سنتان،  
ويمر على الاستقلال جهاته الثلاث الأخرى سنة كثيرة، ولا نرى في المكتبة العربية من  
نتائجها العلمي والأدبي الصحيح إلا كتبا قليلة لا تتجاوز العشرين، ولا نرى في تاريخ  
المغرب القيد والحديث إلا كتبا لا تكاد تتجاوز أصابع اليد، إن هذا تقصير كبير من علمائنا  
وأدبائنا سيحاسبهم الله عليه، ويحاسبهم المغرب الكبير، وامتنا الإسلامية كلها.

إنه ليس ثمرة الاستقلال أن نختل في البدل الزاهية، وننعم بالعيش الرافه، ولكن  
ثمرته هو العمل، مواهبنا التي عقلها الاستعمار يجب أن تنطلق، وتثمر ثمارها الطيبة  
الناضجة في كل الميادين، وان نكد في إخلاص وإتقان وطموح لبناء مغربنا، وامتنا العربية  
والإسلامية كلها، سيما في باب التأليف.

إهداء إلى كل أبناء ليبيا الحبيبة

مع كامل محبتي وتقديري

سعيد خليفة الختالي

سعيد الختالي

طبع هذا الكتاب سنة 1964 ولم يصدر منه أي طبعة أخرى  
حتى قامت مؤسسة تاوالت الثقافية بإعادة طباعته وتصنيفه  
على نفقة سعيد خليفة الختالي

مؤسسة تاوالت الثقافية 2010

<http://www.tawalt.com/>

إن الكتاب المغربي هو أعظم سفير للمغرب في أنحاء العالم. وهو التاج الذي يزينه. والكنز النفيس الغالي الذي يورثه الثقل في ميزان الشرف. والمجد. والنضوج فترجح كفته. إن محاسن المغرب كلها تبقى في المغرب. ولكن كتاب المغرب هو الذي يرى العالم فيه حقيقته. وهو قبل هذا الغذاء الصحيح اللازم لناشئتنا وامتنا. والوسيلة لتربية المجتمع. وتوجيهه إلى المثل العليا التي كابدنا طويلا. وجاهدنا الاستعمار من أجلها.

يجب على حكومات المغرب أن تقوم الدولة في كل عام تقويميا دقيقا في باب التأليف. فترى ماذا أنتج أبنائها من النتاج العلمي والأدبي والفني الرفيع الذي ينفعها في الداخل والخارج؛ ويجب على كل غيور في المغرب أن يفعل ذلك. وإذا لم يفعل نكون مقصرين كل التقصير نحو أنفسنا. ونبقى دائما في مؤخرة الشعوب العالة المنتجة !

يجب على كل رئيس حكومة في المغرب أن يجعل حلية مكتبه أمامه. وما يقدمه لضيوفه. ويعتز به. ويقومه ويغار عليه. هو كتب أبنائه وعلماء دولته. فإنها على حسبها في الكثرة والجودة يكون عزه وقيمة دولتنا في العالم !

ويجب على حكوماتنا أن تعتني بالتأليف. وتهتم بالمؤلفين. فتوليهم التقدير اللازم. وتسهل لهم السفر. وتعينهم. وتمدهم بالمال اللازم ليتزودوا من مكاتب العالم الإسلامي وأوروبا. ويطلبوا كتبهم؛ وترعاهم كل الرعاية ليقوموا بواجبهم كاملا. وعلى أحسن وجه يستطيعونه. وإذا لم تفعل ذلك. فسيبقى المغرب في غذائه العقلي الضروري عالة على غيره. وكلا ثقلا على سواه. لا يقوم بواجبه. ولا ينهض بعنقه في قافلة الأمم الناهضة.

إن الاستعمار قد عقل أقلام علماء المغرب وأدبائه طويلا فعلمهم السكوت. فسكتوا حتى في عهد الاستقلال. فلم يرفعوا أقلامهم ليكتبوا لمدارسهم. وجامعاتهم. ويقدموا إلى العالم المراجع الصحيحة في تاريخهم القديم والحديث !!

انه لا يستطيع كتابة تاريخ المغرب القديم والحديث على أحسن وجه إلا المغاربة. فهم اعرف ببلادهم. وطبيعة قومهم. وأعمق فهما لتاريخ أجدادهم. فإذا تدرعوا بالاعتدال العلمي. وبالجد والكد في البحث والتحليل. وبالنزاهة والبحث المنطقي؛ فإنهم يستطيعون في تاريخ المغرب بالخصوص ما لا يستطيع غيرهم.

لقد ضاعت صفحات غراء من تاريخ المغرب الحديث بسكوت علماء المغرب ومثقفيه. وإهمالهم! لقد ضاعت ثورة الأمير البطل عبد الكريم الخطابي بوفاته ووفاء اغلب المجاهدين الذين حفظوا أخبارها. وأضحت ناشئتنا والكثير من كبارنا لا يعرف عنها شيئا.

وهي أعظم فصل من تاريخ المغرب الحديث ننتفع به في تربية النشء والمجتمع. وتركه نفيسة للمغرب كان يجب أن نحافظ عليها بكتابة عدة كتب في ثورة الأمير وثورات المغرب الوطنية الأخرى تتناولها من كل جهاتها. وتخلد أبطالها بدراسة شخصياتهم؟. وإقامتها مثلا عليا في الغيرة. والإخلاص. والتضحية. والشجاعة. والعمل لله!

وضاعت ثورة طرابلس الغرب الباسلة بذلك السكوت والإهمال منا. إن تلك الثورة وذلك الجهاد لصد الغزو الإيطالي لازال لم يكتب على النحو الذي يجب أن يكتب به. وبأسلوب يليق بهذا العصر!

وستضيع ثورة تونس. وثورة الجزائر إذا لم نسارع لتسجيل أخبارها. والكتابة عنها ما دام القائمون بها على قيد الحياة. فإنهم المراجع الصحيحة لها لا ما يوجد في الصحف من نتف لا تغني الباحث. وهي مع ذلك قد لا تكون صحيحة.

أيها المغاربة. يا علماءها وأدبائها! إن أعلام الحرية والاستقلال قد رفرت على بلادنا - والحمد لله - فارفعوا رءوسكم وانظروها. وانبذوا الجمة الاستعمار التي علقت أقلامكم وعلمتكم السكوت. واكتبوا عن بلادكم واكتبوا. وسجلوا نهضة المغرب الحديثة. وثوراته المباركة. وخذلوا زعماءها وقوادها قبل أن تضيع!

إنني اشكر الشكر البالغ إخواننا العلماء والأدباء في الشرق العربي. واحمد لهم اعتناءهم بتاريخ المغرب الكبير. سيما تاريخ الجزائر منه. لقد ظهرت فيه كتب قيمة. وإن كثيرين منهم قد جعلوا المغرب وتاريخه موضوع رسالتهم للشهادات العليا. وتراهم يبحثون وينقبون في كد واهتمام عن كل كتاب مغربي حديث ليجعلوه موردتهم. ولكنهم لا يجدون ما يريدون. لأن الكتاب المغربي الحديث كان يختم عليه الاستعمار في أكمامه فلم يبرز. فلما جاء الاستقلال منعه عن البروز عادة السكوت والإعراض عن التأليف التي غرسها فينا الاستعمار!

إن إخواننا الأنثقاء أهل المشرق العربي. وكل كاتب في تاريخ المغرب. لا يجد من الكتب المهمة في تاريخنا القديم والحديث إلا كتبا قليلة حديثة كتب مشايخنا وأساتذتنا العاملون اغلبها في عهد الاستعمار. كانت أقلامهم ملجمة فلم يستطيعوا أن يكتبوا كل ما يعرفون. ويأتوا فيها بكل ما يستطيعون؛ وإلا الكتب القديمة التي ملأها السياسة المغرصة بالأكاذيب فشوهت صفحة المغرب الناصعة. وشققت عصاه أو كتب الأوربيين التي كتب اغلبها بروح استعمارية فشوهت تاريخ المغرب القديم والحديث.

إن بعض إخواننا المؤلفين المشاركة الذين كتبوا عن المغرب في قديمه أو حديثه قد

وقعوا في أغلاط كبرى في كتبهم - وهم على نية حسنة - وأوردوا فيها ما يضر ويوغر صدر المغرب. لاعتمادهم في معرفة المغرب على الكتب العربية القديمة، أو على الكتب الأوربية. وأكثر اللوم على هذه الأغلاط ينصب علينا نحن معشر الكتاب المغاربة لأننا لم نقدم إليهم المراجع الصحيحة سيما في تاريخنا الحديث، ومجتمعاتنا وأحوالها.

إنني اشكر إخواننا وأصدقاءنا المؤلفين في المشرق العربي - ونحن دار واحدة، وأسرة واحدة والحمد لله - على اعتنائهم بتاريخ المغرب في القديم والحديث- وهو تاريخهم - وأرجو منهم أن ينتبهوا كل الانتباه في الكتب القديمة للتاريخ، وفي الكتب الأوربية فان اغلبها ملوء بالأكاذيب على المغرب. وأرجوا منهم أن يلتزموا الطرق الحديثة في البحث، وإلا يتعجلوا الحكم قبل الاستقراء، وقبل المشاهدة إذا كتبوا حاضر المغرب! !

يجب إلا يكتب إخواننا عن ناحية في المغرب الحاضر، وعن قوم قبل أن يسافروا إليهم، ويختاطوا بهم، ويدرسوهم دراسة دقيقة بالمعاشرة والمشاهدة. لقد وقع بعض إخواننا الأعزاء من أهل المشرق الذين كتبوا عن بعض نواحي (المغرب المعاصر) فوقعوا في أغلاط كبرى، وأسأوا إلى إخوانهم، لاعتمادهم غفي البحث على الكتب الاستعمارية المغرضة، لا علة المشاهدة أو لاقتصارهم في المشاهدة والبحث على زيارة عواصم المغرب وحدها، واستقاء المعلومات عن جهات المغرب وبيئاته من أناس قد يكون علمهم قليلا، وقد لا تتوفر فيهم شروط الشهادة والرواية، فينقلون معلومات خاطئة تشين كتبهم، وتوغر صدور إخوانهم في المغرب عليهم! ! يجب أن نعتمد في التاريخ الحديث، وما نكتبه عن قطر معاصر على المشاهدة، لتصح معلوماتنا، ونأتي بالنافع المجدي الذي يترك أحسن الآثار في النفوس.

إن العالم سيما العربي والإسلامي الشقيق لينتظر من المغرب الشيء الكثير في باب العلم والعمل فيجب أن نحقق ظنه.

وفي الختام اشكر الجمهورية العربية المتحدة، والقاهرة الحبيبة على ما جدته من كل من عرفت من خاصتها وعامتها من تقدير واحترام لشخصي الضعيف لعملي، وعمما وجدته في مكاتبها العامة من خدمة وتبجيل، وفي جوها من هدوء فكري، ونشاط عقلي فاستطعت تأليف وإبراز هذا الكتاب على أحسن وجه أستطيعه، وكرر الشكر لدار إحياء الكتب العربية للحلبي على ما وجدت فيها من نظام، وإتقان للعمل، وأمانة، ووفاء بالمواعيد، وحسن في المعاملة.

واشكر المجلات والصحف، والإذاعات العربية التي أحسنت استقبال هذا الكتاب، وقرظته وعرفت به.

لقد كتبت عنه مجلة الأزهر في القاهرة مرتين، وجريدة الأهرام الكبرى مرتين وحدثت عنه الإذاعة المصرية في البرنامج الثاني.

وكتبت عنه في لبنان الشقيق مجلة الآداب مرتين، ومجلة الأديب، ومجلة العلوم.

وفي الكويت عرفت به منوهة مجلة العربي .

وكتبت عنه مجلة الفهرست العراقية.

وحدثت عنه إذاعة الجزائر ثلاث مرات، فإلى هذه المجلات، والصحف، والإذاعات، والكتاب، والمتكلمين فيها بالغ شكري على تقديرهم وترحيبهم، وانه لتقدير وترحيب للمغرب والجزائر.

واشكر المكاتب العربية التي رحبت به وأحلتها في الصدر بمعارضتها، وعرفت به حرفاءها فوق الإقبال الكبير عليها.

كما اشكر أصدقائي الذين شدوا أزرني وأيدوني في البدء في هذه الموسوعة، سيما أصدقائي المخلصين السادة: الأستاذ حمودة ابن قايد، وأخاه الأستاذ سعيد، وابن عبد الله حمو بن داود، والحاج عيسى بن داود، وعمر بن بكير وجهلان وشركائهما، والله أسأله الجزاء الأوفى لنا جميعا على هذا العمل الذي لا يقصد به إلا وجهه الكريم وان يوالي تأييده وعونه لنا في خدمة امتنا الإسلامية كلها، وبناء المغرب العزيز.

القاهرة - التوفيقية

10 رجب الخير 1384

14 نفامبر 1964

# المغرب الكبير

حدوده، وأقسامه، وطبيعته.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

## المغرب الكبير حدوده، وأقسامه، وطبيعته.

المغرب الكبير! هذا الوطن العظيم المفدى. تلك الرحاب الجميلة الغالية. وهذا القطر الذي خلقه الله في صدر الدنيا ليكون قريبا من المشرق والمغرب. ومن الشمال والجنوب. فيكتسب حسناتها كلها. ويشرق فيها بأنواره جميعها. هذا المغرب الكبير إذا بحثنا عن حدوده في هذا العصر الحديث وجناها من جهة الشرق قرية السلوم في غرب الإسكندرية. والمحيط الأطلسي من جهة الغرب. ويحده شمالا العرب. ومن جنوبه السودان: السنغال من جنوبه الغربي. ومالي والنيجر من وسطه. واتشاد وغرب السودان من جنوبه الشرقي.

هذه هي الحدود السياسية للمغرب الكبير الآن. وتلك هي حدوده في قديم الزمان. إلا أن من جهة الشرق فإن حده يمتد إلى غرب الإسكندرية. فتجد فيما بين الإسكندرية والسلوم إلى الآن العادات المغربية. والدم المغربي. واللباس المغربي. وسحنة المغاربة. وبنياتهم المتين. أنه ليس حد طبيعي يفصل المغرب عن مصر كالبحر الذي فصله عن أوربا. والصحراء الكبرى التي فصلته عن السودان. إنهما طبيعة واحدة. وأرض متشابهة. لذلك تمتد ذراع المغرب اليمنى في ود وحنان. فتطوق غرب مصر إلى الإسكندرية. فيضم تلك البقاع إلى أحصانه. ويرأها جزءا أثيرا منه.

إن المصريين القدماء أبناء عمومة البربر. فهم جميعا من بني حام. فبين القطرين المغرب ومصر قبل الإسلام صلات الرحم القوية. ووشائج الجوار القريب. فجاء الإسلام فتكونت بين القطرية المسلمين منه أسباب للمودة والاتحاد أقوى من الرحم الماسة.

ومن الجوار القريب. فلا غرابة إذا رأينا ذلك الامتزاج بين جناح المغرب الشرقي. وجناح مصر الغربي. وعلاقات المودة والإخاء الإسلامي المكين بين القطرين المغرب ومصر في كل العهود !

### أقسام المغرب في القرون الإسلامية الأولى

والمغرب اسم أطلقه الفاتحون المسلمون على مغربنا الكبير في القرن الأول الهجري. وكان قبل ذلك يسمى باسم آخر. وقد قسم المسلمون في مصر والشام مغربنا الكبير حسب قربه وبعده عنهم في مصر والشام إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى. فالمغرب الأدنى يبتدئ من غرب الإسكندرية شرقا إلى مدينة (بجاية) غربا، والمغرب الأوسط من مدينة بجاية شرقا إلى وادي ملوية غربا، والمغرب الأقصى من وادي ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.

وكان المغرب الأدنى يشتمل على الأقاليم الأربعة التالية: برقة، وطرابلس، وتونس، وشرق الجزائر؛ والمغرب الأوسط يشتمل على وسط الجزائر وغربه، وعلى جزء من شرق القطر المغربي الحبيب؛ والمغرب الأقصى يشتمل على بقية المغرب من وادي ملوية إلى المحيط الأطلسي.

وإرى ان هذا التقسيم للمغرب قد وقع في عهد الملك الأموي عبد الملك بن مروان في آخر القرن الأول الهجري، فهو الذي تم فتح المغرب في عهده، فصار المسلمون يجربون أقطاره، ويسوسون نواحيه، فاحتاجوا إلى هذا التقسيم وهذه التسمية ليعينوا جهاته.

وكان الاسم الغالب على المغرب في جزيرة العرب أيام الخلفاء الراشدين هو إفريقية. وتراهم يقصون بها تارة تونس وطرابلس، وتارة تونس وحدها، وتارة المغرب كله. هذا ما نجده في كثير من الكتب القديمة التي الفت بالمشرق حتى بع هذا التقسيم الإسلامي، والأسماء العربية التي أطلقها الفاتحون المسلمون على أنحاء مغربنا الكبير.

وقد دامت هذه الأسماء العربية على أقسام المغرب الثلاثة الأدنى، والأوسط، والأقصى إلى القرن العاشر الهجري لما استولى الأتراك على المغرب الأدنى والأوسط فقسموهما تقسيما جديدا حسب الدول التي انشأوها فيهما. فانقسما إلى ليبيا، وتونس، والجزائر كما هما إلى الآن. انه ليس هناك حدود ولا شبه حدود طبيعية بين هذه الأجزاء من مغربنا الكبير، بل هي وطن واحد، وأمة واحدة، وجنس واحد، وبن واحد. قد خلق الله فيها كل أسباب الاتحاد والامتزاج والتحابب. إنهما الأطماع السياسية التركية قسمته ذلك التقسيم، وحدت بين أجزائه تلك الحدود، فجاء الاستعمار اللاتيني الفرنسي، والإيطالي،

فأيد ذلك التقسيم، وركز تلك الحدود ليمزق مغربنا الكبير. ويفرق الأمة المغربية الواحدة فيسهل عليه استعمارها كما يريد. وقد للمغرب الأقصى اسمه العربي إلى اليوم لأنه نجأ من استعمار التركي وتسلطهم عليه.

### تقسيم الجغرافيين البونقيين والإغريق والرومانيين للمغرب

هذا هو اسم مغربنا بعد الفتح الإسلامي، وذلك هو تقسيم الفاتحين له. فكيف كان يسمى قبل الإسلام في عهوده القديمة قبل البونقيين وأيام استقرارهم في المغرب؟ ما أقسامه في عهدهم، وفي عهود الدول البربرية القديمة التي عاصرتهم، وفي عهد الرومان الذين جاءوا بعدهم؟

كان المغرب يسمى في القيم قبل القرن التاسع قبل ميلاد المسيح عليه السلام (ليبيا) كان يسمى كله من أدناه إلى أقصاه بهذا الاسم (ليبيا) وكان معروفا عند الأمم القديمة بهذا الاسم، يطلقونه على كل أجزائه، ويسمون به كل نواحيه. وفي عهد البونقيين الذين انشأوا دولتهم في قرطاجنة في شمال في القرن التاسع قبل الميلاد أطلقوا هم والجاليات الإغريقية واللاتينية التي كانت تغشى أنحاء المغرب للتجارة، وتنتقل في أنحاءه سيما في الشمال للمقايسة. أطلق هؤلاء أسماء جديدة على جل أنحاء المغرب، فلم تعد تسمى ليبيا. وبقي هذا الاسم يطلق على الجزء الشرق من المغرب الكبير طرابلس وبرقة. وقد يلحق كثير من المؤرخين طرابلس، من خليج سرت الأكبر، بتونس، ويطلقون عليهما جميعا إفريقية.

لقد قسم هؤلاء البونقيين والإغريق واللاتين شمال المغرب الكبير إلى ليبيا، وإفريقية، ونوميديا، وموريطانية الشرقية وموريطانيا الغربية.

أما ليبيا فهي إقليم برقة وطرابلس وحدهما من غرب الإسكندرية إلى شرق مدينة قابس في خليج (سرت) الأصغر.

أما إفريقية فمن شرق مدينة قابس جنوبا وساحل تونس الشرقي إلى الشرق مدينة طبرقة غربا، وهي القطر التونسي اليوم تقريبا ما عدا صحراء تونس التي كان يطلق عليها اسم آخر غير إفريقية، وجزء قليل من غربها فان مدينة طبرقة كانت في القديم تابعة لنوميديا في شرق الجزائر.

أما نوميديا فتبتدئ من شرق مدينة طبرقة وتنتهي غربا في بجاية. وبجاية داخلية في نوميديا فهي جزء من أجزائها وليست خارجة عنها. وتشتمل نوميديا على عمالة

قسنطينة اليوم وعلى جزء قليل من غرب تونس.

أما موريطانيا الشرقية فحدها الشرق غرب مدينة بجاية وتنتهي في وادي ملوية فهو حدها الغربي. وهي تشتمل من أقسام القطر الجزائري الحالي على عمالة الجزائر، وعمالة وهران، وعلى جزء من القطر المغربي الحبيب.

وموريطانيا الغربية هي القطر المغربي اليوم إلا جزءا صغيرا من شرقه. وحدها الشرقي هو وادي ملوية. وتنتهي غربا في المحيط الأطلسي.

هذا هو تقسيم الجغرافيين القدماء البونيقيين والإغريق واللاتينيين لمغربنا الكبير. وقد أيد هذا التقسيم ما قام في بعض أجزائه من دول بربرية كبرى. ان افريقية كانت فيها دولة البونيقيين ثم الرومان بعهم، ونوميديا قد أنشأت فيها دولة البطل الكبير الملك البربري غولة بن نارفاس، وموريطانيا الشرقية كانت لصيفاقس البربري نشأت فيها دولته البربرية الكبرى التي ساسها بعبريته. وأعلى صروحها بحزمه وحسن درايته. كما كانت موريطانيا الغربية تحت أمرائها، وملوكها البربر الذين استقلوا فيها.

وكان الجغرافيون القدماء أيضا قبل الإسلام يسمون نوميديا مصليا، ويسمون موريطانيا الشرقية مصصيليا. وإنك واجد في الكتب الأوروبية التي كتبت في تاريخ المغرب قبل الإسلام كلا الاسمين يطلقان على شرق وغرب القطر الجزائري الحبيب.

هذا هو تقسيم الجغرافيين القدماء قبل الإسلام لمغربنا الكبير. وتلك هي الأسماء التي أطلقوها على قسم. فهل قد قسموا المغرب كله شماله وجنوبه، تلاله وصحراه. إن ما عرفه البونيقيون والإغريق والرومان، وجولوا في أنحاءه، واستقروا فيه للتجارة أو الملك، ورغبوا في المقام فيه، إنما هو شمال المغرب، والساحل الجميل. ذلك الشمال الخصب الجميل الذي فتحهم بخيرات، وبالخضارة البونيقية التي اخذ بها أجدادنا الأمازيغ فأشرق بها مغربنا الكبير. فقصده الناس للاستقرار والاجار. أما الصحراء، صحراء المغرب الكبير، فإنهم لم يقسموها كالشمال لعم استقرارهم فيها، ولكن أطلقوا عليها اسما جديدا هو (جيتوليا) وكان سكا صحرائنا المغربية، أجدادنا البربر، يسمونهم (الجيتوليين) وكانت صحراء تونس، وصحراء الجزائر، وصحراء المغرب الأقصى تسمى جيتوليا.

ان المغرب كله من أدناه إلى أقصاه، ومن شماله في بحر العرب إلى جنوبه في حدود السودان وطن واحد، ذو طبيعة واحدة، ومزاج واحد، تسكنه امة واحدة تدين بدين واحد، لا فرق بين أقطاره، ولا اختلاف بين أجزائه، فصحراؤه ذات طبيعة واحدة، وشماله كذلك لا فرق بين أنحاءه في الطبيعة، فإذا وجدت بعض الفرق فكالذي يوجد في أعضاء الجسم

ألواح لتقوم كل ناحية بوظيفتها خير المغرب كله وليؤدي المغرب واجبه في كل الميادين، ويكفي نفس في كل أنحاءه بكفاءاته المختلفة وميزاته التي أودعها الله في أنحاءه. أما الاختلاف في العرق الذي يمزق الأمم، والاختلاف في الذين الذي يفرق الشعوب، والتباين في الأمزجة للتباين الكبير في المناخ هذه العلل التي تباعد بين الجماعات، فما وقى الله مغربنا الكبير منه، انه وطن واحد يا صديق، فأينما حللت من أجزائه فأنت في وطنك، وبين اهلك، لا تشعر بالغرابة، ولا تحس بالوحشة التي تكون لك باختلاف النفوس.

تلك هي الأسماء التي كانت تطلق على أجزاء من مغربنا الكبير، وذلك هو التقسيم الذي كان عليه قبل الإسلام. فكيف طبيعة هذه البلاد التي سخرت العالم منذ الأزمنة القديمة، وكيف كان المغرب الكبير في مناخه وتربته، وفيما أودع الله فيه من كنوز ومزايا؟ انه في صدر الدنيا، وهل ينبت الله في صدرها إلا ما يزينها، ويخلق لها الغرام في القلوب، والمحبة في الأفئدة؟





# مناخ المغرب الجميل

## وخصائصه العظيمة، ومزاياه الكبرى

لقد خلق الله المغرب الكبير في موقع ممتاز لا جده لغيره من الأقطار. لقد توج به افريقية<sup>1</sup> الجميلة وانتبه في صدر الدنيا حيث يناط الوسام الكريم، وتعلق الجواهر النفسية. لقد توسطت الدنيا فاخذت من خصائص الشمال في أوروبا، ومن خصائص افريقية في جنوبه، كما استطاعت ان يصل إلى حضارة المشرق ودينه لقويم، فهو قريب من القارات المتحضرة. يصله المحيط الأطلسي الذي يكتنفه من غربه بأمريكا فيتصل بها في سهولة إذا شاء ويصله بحر العرب الذي يطوقه بذراعه من شماله وشرقه بأوروبا إذا شاء، وبآسيا إذا أراد، فيصل كلا القارتين في سهولة ووقت قصير.

إن مغربنا خلقه الله في مكان وسط بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب، لهذا كان على الاعتدال في أشيائه، وعلى الجمال في ألوانه، لا يفرط في أشياء كما يفرط الشمال، ولا يتجاوز الحدود في بعض أموره كما يتجاوز الجنوب، فهو كالربيع المعتدل بين الفصلين إذا أرتت القوة والجمال لا تجهما إلا فيه !

إن المغرب جنة الله في الأرض وسليل الفردوس في الثرى، لذكاء تربته، وخصب أرضه، وكثرة خيراته، ويليق كلك المزروعات، ويؤتي كل الثمرات، ويحتوي على كل المعادن، فهو نعمة الله الكبرى علينا، وأعظم الألاء التي خصنا بها ! جوه معتدل ينعش الأجسام ويضمن الصحة، ويؤجج النشاط، وهو بين البحر والصحراء، وسمائه سائلة اليم والبيداء، فتارة ترعد فيها السحب وتبرق، وأونة تسطع فيها الشمس وتشرق، وهو خال من المستنقعات الوبيلة التي تسمم الجو، ونكون في جلده كالجروح ترف إليه الوبال، وتسليخه من الجمال؛ وخال من الجماعات التي تصيب البلاد المجذبة، والأقطار التي تسوء تربتها، وتعقم أرضها.

1 - المراد بافريقية هنا القارة كلها.

## صحراء المغرب وكنوزها ودينها

أما صحراء المغرب فهي موطن الجمال والفتنة. ومعدن الكنوز والنعمة. تراها صحراء زاخرة بغابات النخل الممتاز بتمرجيد بالغ الحلاوة. طيب النكهة. لا يوجد إلا في بلاد المغرب ! وفي صحرائنا الغنية الممتازة أكثر من مائة نوع من التمر. واغلب من نوع الجيد. وفي أصناف ممتازة لا تجدها إلا في المغرب. لا تستطيع ان تنتجا بلاد المشرق. وتجدها في المغرب!

وترى في أرجاء الصحراء المدن العامرة المتحضرة التي تجد فيها كل ما شئت من رجولة ودين. ومن حزم وقوة. ومن نبوغ وذكاء. قد نبتت في أنحاء الصحراء مع جنات النخيل الفتانة. إلا ان هذه أبهى وأكرم لأنها تمتلئ بنور الذين. وتشيع فيها فصاحة القرآن. وتختال في الحضارة الإسلامية الزاهية. ويضيف إليها أبنائها الناشطون المثقفون كل حسن من الحارة الحديثة. ومدينة العصر الراقية. ومن تلك المدن الزاهرة الراقية الآن بلاد ميزاب. ولاغواط. ومثليي. والامنيعة. وورجلان في جنوب الجزائر. وتافيلالت (سجلماسة) في جنوب المغرب الأقصى. وتوزر ونقطة. وقابس وقفصة. في لقطر التونسي لحبيب. وغامس وفزان. في جنوب ليبيا. وغيرها كثير في صحراء المغرب الكبير الواسعة.

وق اكتشف النفط الغزير في صحراء المغرب الكبير. والمعادن الكثيرة النفيسة. فازدادت قيمة. واتجهت إليها الأنظار من كل أنحاء العالم. وصرت للمغرب هي الثدي الذي يرويه. والمورد الغزير الذي يغنيه!

وفي أنحاء مغربنا الكبير مع جماله الطبيعي البارع. ومناخه الصحي الممتاز الحمادات المعدنية الطبيعية. تجدها في اغلب نواحيه. وترى الأوروبيين يقصدونها من أقصى أوروبا للاستشفاء من أمراضهم لمزمنة. وترى حماتنا تستطيع القضاء على الأمراض الكبرى التي تعجز امهر الأطباء في أوروبا. وتعقبهم فيهما احدث الأدوية. وأدق الأجهزة الطبية في العصر الحديث. ومن تلك الحمادات المعدنية حمام الصالحين وحمام بو حنيفية. وحمام ألوان في الجزائر. وحمام قبرص وحمام الأنف في تونس الخضراء. وغيرها كثير في أنحاء المغرب الكبير.

ان حماتنا المعدنية في المغرب الكبير من اكبر نعم الله علينا. ومن أسباب الصحة والقوة التي حبا الله بها مغربا كاملة!

لقد أسبغ الله على المغرب الكبير من أسباب الغنى والقوة والجمال كل ما يسعد

والمغرب مشتمل على السهول والجبال. فساحله الطويل بسيط من الأرض دائم الخصب والخيرات. تراه على صدره زاخرا بالنفائس والبهاء. كأنه وشاح على صدر الحسناء. أما جباله فهي جبال الأطلس الشماء. وهي سلسلتان تبتدئان من المغرب الأقصى وتنهيان في تونس الخضراء. وتسمى السلسلة الشمالية منها الأطلس الشمالي. والسلسلة الجنوبية الأطلسية الصحراوي.

سلسلتان من الجبال الشماء هي معقل الأسود من أبناء المغرب الأحرار. قد ركبهما الله في قطرنا الباسل كالفكين في الأسد الهصور. فطحن بهما أعداء المغرب في كل الأزمان. وكانا مبعث فخره وفخر الإسلام والمسلمين في كل العودا!

هذه الجبال التي دجج الله بها شمال مغربنا. وزين بها أنحاءه. ليست صخرية قفراء. فاغلبها في شمال المغرب غابات لفاء. يسكن الليل في بعضها إذا اشتد قيظ النهار. لعظمة أشجارها. وتشابك دوحها؛ وهي أيضا حدائق تزهر فيها الأشجار المثمرة. ومزارع تماوج فيها أنواع المزروعات التي تملأ الجيوب. وتسعد القلوب ! وجبالنا الخضراء الجميلة رياض غناء. تتفتح فيها الزهور. وبعرض فيها الربيع جماله. وييدي فيها كل فصل حسنه وروعته. ما أحلى بياض الثلوج الذي يكللها في الشتاء. ونسيم الصيف الذي يتلاعب في جنباتها ! وما أحلى العيون الحرارة في أرجائها. النازلة من قممها في بياض رائع جميل كبياض العمائم في رؤوس العلماء. انه منظر رائع فتان بملوك بالنشوة والطرب. فتراك وان كنت حزينا تتسلى. فتغني مع الجداول البيضاء المتسابقة من قمم الجبال. وترقص طربا مع إحراج التلال التي ترقص وتتعانق لشدة فرحها بنعم الله عليها في جبال المغرب الجميلة!

وترى جبال المغرب في شماله لكثرة خصبها. ووفرة عيونها. وحسن جوها. ومنعتها. وجمالها. منبتا لآلاف القرى ترصع أنحاءها. وسكان تلك القرى أبناء المغرب الأوفياء فهم اسود الشرى. لا تزال مخالبتهم فيكل عصور الاستعمار قانية بدماء المستعمرين. ولا تزال جنوب أولئك الغاشمين المستعمرين بضربات أبناء الجبال الصناديد ملتبهة تشتعل فيها النيران!

وبين السلسلتين من جبال الأطلس جود. تراها بين ذراعي بلادنا الحبيبة فتانة كالنهود! قد كستها سماؤها المدارة. وأراضها الطيبة بكل ما شئت م نبات وأشجار. ومن زهور اريجة وثمار!

أبناءه، ويحملهم على القوة والهناء، وعلى المتعة والسعادة، وعلى التقدم والرفق. فلا غرو والجمال طابع مغربنا، والخيرات سمته، والبركات ما اشتر به بين الشعوب، ان كان محل أطماع المستعمرين في كل العهود، وهدف الشعوب الجائعة في كل الأزمان، والرائحة الذكية تجذب الذباب إلى الزهور، وقتار القدر الطيبة يغرى به الكلاب فتستأسد، ويدعو إليها الحشرات والأفاعي فتحاول ان تجعلها مستعمرة وان كانت تحتها النيران، وكانت هي على الغليان. فعلى أبناء المغرب الكبير ان يتحدوا ويتيقظوا، ويستعدوا لحماية مغربهم من لمستعمرين الذين يتحينون الفرص للرجوع إليه. فانه جنة عن اخرجوا منه، واللقمة البالغة الحلاوة والجدوى نزعت من أشداقهم المسعورة.

### أثر البيئة الطبيعية في سكان المغرب الكبير

وكان سكان المغرب لهذه الخصائص الجميلة في بلادنا، على الاعتدال في الأمزجة والمتانة في التركيب، والجمال في القوام، والصحية في الأجسام، لوفرة لغذاء، وجودة الهواء، ولاعتدال الإقليم، وجمال الله في المغرب!

وكان أجدادنا أبناء المغرب الكبير على الاعتدال بالنفس إلى حدود الكبرياء، وعلى الأنفة والإيابة، وعلى التمسك كل التمسك بشخصيتهم لا يذوبون، وعلى الاعتدال والاعتزاز بدينهم وقوميتهم لا يتلغهم المستعمرون وإن أطالوا المقام عليهم، وجرودوا كل أسلحتهم لإذابتهم ومحق شخصيتهم.

وكان أبناء المغرب الذين ربتهم جبالهم الشماء وإحراجهم، وطبعتهم، وطبعتهم بطباعها، يحبون الحرية إلى درجة لعبادة، ويعشقون الموت في سبيلها، لا يرضون بالظلم والاستعباد، ولا يخضعون للجبروت والاستبداد؛ فان سكنوا للظالم حيناً فكما يسكن الأسد في نوبة الحمى، ليس ذلك من طبعه، ولا من جبلته، فإذا صحا فويل للظالمين! انه يترك الساحة بنجيعهم معصفرة، ويغدو وصبوحة دماء الأعداء وخوضه في أشلائهم المبعثرة.

وكان أبناء المغرب الخصائص بيئتهم الطبيعية وأثارها العظيمة فيهم على الحزم والنشاط، يحبون العمل، ويكرهون الكسل، ويعشقون لطموح، ويمقتون الخمول، لهم إرادة حديدية، وذوق جميل، ويد صناع، يتقنون أعمالهم ويحبونها، لا يكسلون ولا يغشون، ولا يذهبون إلى العمل وهم يتنأبون، بل يهرعون، وتلك من نعم الله علينا باعتدال جو إقليمنا، فلو كان بالغ الحرارة لأورثنا الكسل وطبعنا بالفتور.

وكان أهل المغرب لآثار المغرب الجميل القوي فيهم - على الذكاء في العقل، والقوة في التفكير، والحب للعلم، يقدرسونه وأهله، وبرونه رأس الفضائل، واكبر النعم.

وكان أبناء المغرب لااعتدال جوههم على الاعتدال في الوجدان، لا يفراطون في أفراحهم وأحزانهم، وفي حبهم وبغضهم، ولا يتسمون بالنزق والطيش لوجدانهم الذي يملكهم كما نجد تهل البلاد المفرطة في الحرارة، ولا يجدون كاهل البلاد المفرطة في البرودة، بل هم على الاعتدال في الوجدان، وعلى الخفة في الأرواح، وعلى المرح في النفوس، على نحو وبمقدار تستسيغه العقول الحصيفة، والخلق الكريم.

هذه بعض مزايا المغرب الجميلة، وأثاره الحسنة في أبنائه، وقد وجزنها لكي لا يخرج هذا الباب من إطار التاريخ إلى تفاصيل الجغرافية.

حسبنا منها هذا الموجز الذي هو تمهيد ضروري، ساس لما يستقبلنا من عهود المغرب الزاهرة، ودوله الراقية، وثوراته لعارمة على المستعمرين، ان الناس بناء أرضهم فمنها يرثون وعلى حسبها يكونون.

لقد خلق الله المغرب على الحسن الفاتن، وميزه بخصائص قلما اجتمعت في قطر من الأقطار، فقصدته أهل المشرق منذ العصر الحجري الأول فسكنوه، فمن الذي سكن بقاعنا الحبيبة، ومغربنا الجميل في العصر الحجري الأول قبل ان يغشاها الأمازيغ فيكون لهم، ويكونوا له، ويعمروا كل أنحاء، وينهضوا بالمغرب الكبير نهضته الكبرى؟

السكان الأولون للمغرب الكبير

# السكران الأولون للمغرب

أول من سكن مغربنا جماعات من أبناء يافث انتقلوا إلي من المشرق، ومنه انتقلوا إلى جنوب أوروبا كما تل على ذلك الآثار والنصوص الصحيحة.

## أصول البشر

ويافث هو احد الأصول الثلاثة للبشر. وهم أبناء نوح عليه السلام. فهم الذين أصول البشر عمروا الأرض بعد ان اغرق الله فيها بدعوة نوح لما كفر به أهل عصره. وقد نجت في سفينته زمرة من المؤمنين به، ولكنهم لم ينسلوا أو هلكت ذريتهم، فبقي نسل أبناء نوح الثلاثة. فكان نوح عليه السلام آدم الثاني، واصلا من أصول البشر ومبدءا للخليفة. وقد ذكر ابن خلدون الأمم التي تفرعت من أبناء نوح الثلاثة وهم: سام، وحام، ويافث. فذكر ن ليافث سبعة بناء منهم (قطريال) ثم لنا الأمم التي تفرعت عنه فقال: «وأما (أبناء قطريال) فهم الصين من المشرق، واللمان من المغرب. ويقال إن أهل افريقية قبل البربر منهم، وان الإفريج أيضا منهم، ويقال ان أهل الأندلس قديما منهم»<sup>2</sup> ان قول ابن خلون الرجل العالم بالتاريخ، سيما تاريخ المغرب أكبر دليل على ما قلناه من ان جماعات من أبناء يافث هم أول من سكن المغرب. وقد انتقل هؤلاء إلى جنوب أوروبا، فاستوطنوا الأندلس وغيرها. فكان وطننا (المغرب الكبير) هو الأصل في عمارة جنوب أوروبا، لا ما ادعى كثير من الأوروبيين الذين يتعصبون لأنفسهم، ويحصرون كل الفضل في جنسهم. لقد قالوا ان هؤلاء السكان الأولين للمغرب جاءوه من أوروبا! وقد نقل هذه الدعوى بعض المؤرخين المغاربة. ان الآثار التي دلت على وجود هؤلاء السكان تتصل من المشرق إلى المغرب. وبعض عباداتهم وطقوس دينهم شبيه بما هو في المشرق، سيما في مصر التي كانت طريقتهم إلى المغرب. والمغرب فيما قبل التاريخ هو الناحية التي تصلح لحياة بني الإنسان لا جنوب أوروبا البارد الذي تكسوه الثلوج، ويعمر الجليد تلب نواحيه. ان سبب

2 - كتاب العبر لابن خلدون ج 2 ص 10 ط. بولاق في القاهرة 1284هـ (2-1 المغرب)

عمارة جنوب أوروبا هو المغرب. لا عكس. كما يدعى بعض المؤرخين الأوروبيين المتعصبين. لقد اغتر أولئك المؤرخون الأوروبيون بتقديم أوروبا في هذا العصر. وتختلف المشرق. فنسبوا كل الفضل إلى أوروبا. قالوا: أنهم لأصل في عمارة المغرب. وادعوا ادعاء الثمرة أنها الأصل للشجرة - وهي منها - أما رأت أغصانها حطبا وجردها الشتاء من حياتنا!

وكان نزول هذه الجماعات من أبناء يافث في شمال المغرب واستقرارهم به قبل التاريخ. وهي العصور التي كان الإنسان فيها لا يعرف الكتابة ليسطر تاريخه. وفي العصر الحجري قبل ان يكتشف الإنسان النحاس والحديد فيقيم عليهما حياته. وقد دلنا على وجود هذا الجنس من أبناء يافث آثارهم الموجودة في أنحاء المغرب. والآثار اصدق شاهد من الكتابة. واصح دليل من الرواية. وقد وجدت بعض مصنوعاتهم الحجرية. وأثار لمنازلهم. ومن أثار المنازل ما وجد في ناحية معسكر. وفي نواحي وهران وسعيدة. والجزائر. في غرب القطر الجزائري ووسطه. ووجدت في عين البيضة. وتبسة وعين مليلة. وسطيف في شرق الجزائر. وقد وجدت قبورهم أيضا ويسمونها البربر قبور الجهلاء.

### عيشة السكان الأولين للمغرب وحياتهم البدائية

وكان أولئك السكان الأولون للمغرب على بساطة أهل العصر الحجري في العيشة والحياة. فكانوا يلبسون جلود الحيوانات. ويقتاتون بالثمار البرية. وبالأعشاب. وبما يصطادونه من الحيوانات. وكانوا يسكنون المغاور والكهوف المنيعة القريبة من المياه؛ ويتخذون من الحجر آلاتهم في القتال. وفي الصيد. وفي مختلف الضرورات.

### دينهم الوثني

وكان لهؤلاء السكان الأولين دين بسيط على حسبهم. لان الإنسان لا بد له من دين ولا يمكن ان يخلو منه. لان الدين في الإنسان تبعته عليه غرائزه. فغريزة الاطلاع والخضوع القويتان في الإنسان تبعثانه على الخضوع والعبادة. وعلى ان يتخذ له إلهها يعبد. فكما انه لا يمكن ان يبقى بدون الأكل الذي تبعته عليه الغريزة. كذلك لا يمكن ان يبقى بدون دين الغريزة هي التي تبعث عليه! وإذا كان التقليد وهو من الغرائز أيضا يبعث الإنسان على اقتباس نوع الدين من البيئة الاجتماعية فيكون عليه. فأصول الذين في النفس البشرية هي ما ذكرنا.

كان لهؤلاء السكان دين يعقدونه. والهة يعبدونها. فكانوا يعبدون الشمس والقمر وبعض الحيوانات. ومنها الثور والكبش والقرد. وكذلك العقل في طفولته يخلع التقديس

على كل ما يروعه ويراه مصدرا للقوة. ومحلا للغرابة. وإذا كان هؤلاء السكان قد هاجروا إلى المغرب من المشرق فلا بد له ان يكونوا قد أتوا بشيء من هذا الدين من المشرق. ان عبادة الشمس التي كانت في أم من أهل المشرق كالمصريين وأهل اليمن جعلنا نتيقن ان هذا الدين ليس من اختراعهم في كل طقوسه.

وكان أولئك السكان الأولون يعتقدون البعث والنشور. وان الإنسان في بطن الأرض ما هو إلا جنين سيولد فيحيا حياة ثانية. لذلك كلن من أنواع دفنهم ان يدفنوا الميت وهو جالس القرفصاء. ولحياه إلى ركبته. وتلك هي هيئة الجنين في البطن. وكانوا يفون مع الميت أدوات طعامه وشرابه. وبعض أشياء الزينة ليحياها حين نشوره. وفي حياته الثانية.

ان عقيدة البعث ما تبقى لهذا الجنس من الدين السماوي الذي جاء به الأنبياء الأولون. وإلا فان عقولهم القاصرة لا تستطيع إدراك لبعث بالتفكير في حياة الإنسان وفي حقيقته. ووجد عقيدة البعث منتشرة في المشرق فكانت سببا لبناء الفراعنة للأهرام.

وقد بقي هؤلاء الشرقيون من أبناء قطوبال بن يافث في لمغرب إلى ان فاض عليهم في لعصر لحجري جنس كثر منهم عددا. وأقوى شخصية فغمروهم فأذابوهم فيهم فأسمى أولئك السكن الأولون كالنهر الصغير إذ إلتقمه البحر وأطبق عليه فكساه بلونه. وابتلعه فصار جزءا منه. وكذلك الفئة الصغيرة تذوب دائما في الجماعة الكبيرة إذا كانت قوى منها شخصية. ان هذا الجنس العتيد لغزير الذي فاض على السكان الأولين فصيرهم قطرة في بحره هو جنس البربر العتيد! تلك الأمة القوية العظمى التي استوطنت المغرب الكبير من دناه إلى أقصاه منذ العصر الحجري. فعرف المغرب بها وعرفت به. فصار لها كالحجر للمقلة الصحيحة لا يفارقها ولا تفارقه!

فمن هم البربر؟ ما أصلهم. وما حقيقتهم. ومن أين جاءوا إلى المغرب؟

البربر  
أصلهم و شخصيتهم

## البربر

البربر هم الجنس العتيد الذي فاض على الفئة القليلة من السكان الأولين للمغرب  
فنسخهم كما ينسخ النهار الواسع المستفيض رقعة القمر في الجوا!

والبربر جنس كثير العدد. قوي الشخصية. لا تحصى شعوبه. ولا تعد مزاياه فهم من  
الأجناس الحرة الكريمة التي خلقها الله بيضاء لتكون شامة في وجه الإنسانية. وجعل  
المغرب صدر الدنيا وطن البربر ليأخذوا من حسنات الطرفين شماله وجنوبه. فيحتلوا  
الصدارة في المكارم. كما احتلوا الصدارة في المواطن!

## موطن البربر الأول وسبب انتقالهم إلى المغرب

وكان البربر في أول أمرهم في الشام مع أبناء عمهم فلسطين. فوقع بين الطرفين  
موطن البربر حروب وحدثت بينهم فتن. فهاجر البربر من لشام فساروا إلى الغرب  
فاستوطنوه. فغمروه بشعوبهم. وعمروه بقبائلهم من غرب الإسكندرية إلى المحيط  
الأطلسي. ومن بحر العرب إلى حدود السودان. وكانت تلك الهجرة في العصر الحجري.  
وقبل ميلاد المسيح عليه السلام بمدة لا تقل عن ثلاثين قرنا كما قال الأستاذ الكعك.<sup>3</sup>  
وكانت اغلب بقاع المغرب حينئذ بكررا لم تطأها أقدام. وجل مواطنه خلاء لم يتعرف  
ليها إنسان. فوهب الله لها هذا الجنس الكريم حل فيها حلول البذرة الطيبة في التربة  
الخصبة. فازدهرت. فصارت من مقاصد الشعوب التي تعشق حارة والقوة والجمال.

## أصل البربر

ان البربر أبناء مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. فهم من بناء حام  
لا من أبناء يافث كما يدعي المستعمرون. ولا من أبناء سام كما ادعى كثير من البربر  
ومن العرب الذين يتعصبون لجنس على جنس. وتبعثهم مذاهبهم السياسية. وحبهم  
للملك على اختلاق والتزوير.

وقد ذكر ابن خلدون: م أبناء حام كنعان جد البربر. ومصرايم جد القدماء المصريين.

3 - كتاب البربر تأليف الأستاذ عثمان الكعك ص 7 ط. الترقي بتونس 1956.



وفلسطين جد الفلسطينيين القدماء. واثبت ابن خلدون مؤكدا ان البربر أبناء حام بشهادة الموطن الذي كان مجاورا للمصريين من الغرب وللسودانيين من الشمال وهم أبناء حام لا أبناء سام. وبشهادة اللغة البربرية التي تشبه لغة المصريين القدماء. ولغة أهل السودان. وتبع في لهجتها وكلماتها وتركيبها عن اللغة العربية.

قال ابن خلدون: «والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأن البربر أنهم من لد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. وان اسم أبيهم مازيغ. وإخوتهم اكركيش. وفلسطين وإخوانهم بنو كسلوحييم بن مصرام بن حام. وملكهم جالوت سمة معروفة له. وكانت بين فلسطين هؤلاء وبين بني إسرائيل بالشام حروب مذكورة. وكان بنو كنعان وكركيش شيعا لفلسطين. فلا يقعن في وهمك غير هذا فهو الصحيح لذي لا يعدل عنه»<sup>4</sup> ثم ذكر ابن خلدون ادعاء بعض نسابة البربر ان بع شعوبهم من العرب كصنهاجة التي تولت الملك في الإسلام فادعت انها عربية. ومن قريش أيضا ليصبح ان تتولى الملك لان الملك ورئاسة الدولة عند العظاميين المتعصبين للعرق لا تصح إلا لعربي. وهي محصورة في قريش. وفي العرب دون غيرهم من المسلمين!! هذا هو الذي جعل بعض القبائل البربرية ككتامة وصنهاجة تختلق انسابا لها مزورة تجعلها من العرب ومن قريش. وإلا فان البربر معتدون بنفسهم وبنسبتهم. ولا يلصقون أنفسهم بغيرهم. سما في الإسلام الذي جعل المسلمين امة واحدة. وسوى بينهم. وقرر هذه القاعدة الثابتة وهي «ان لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» ان صنهاجة من البربر. وكتامة كذلك. ولكن العبيدين الذين اصطنعواهم أرادوا ان يوثقوا صلنهم بهم. فادعوا أنهم من العرب مثلهم. وأشاعوا هذه الخرافة في المغرب وقد استغل هذه الدعوى الصنهاجيين الذين ملكوا المغرب في القرن الخامس والسادس الهجري فادعوا أنهم عرب. كما ادعى ذلك عبد المؤمن بن علي ملك الموحدين فادعى انه من قريش. وهو من كومية القبيلة البربرية المعروفة في ناحية تلمسان.

ما ثقل على النفس وما اشق على القلم الآن. وما أخبت ان نخوض في هذا الموضوع الذي يجعلنا نحكم بان هذا عرب وهذا غير عرب. والله قد جعلهم امة واحدة بالإسلام وإخوة متمزجين بدينه الحنيف. فقال «إنما المؤمنون إخوة» وقال « وان هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» ان أعداء الإسلام الذين يكيدون للدين الحنيف. وهم أبناء المسلمين. ويركبهم رؤسائهم الصليبيون المتعصبون حمرا رخيصة إلى أغراضهم. وهي: القضاء على الذين الإسلام العظيم الذي هو امتن رابطة. وأوسع قومية. وإحياء القوميات

4 - كتاب العبر لابن خلدون ج 6 ص 97 ط. بولاق في القاهرة.

الجاهلية الضيقة الهزيلة. ان أولئك البلاد الجهلة لا يلذهم ولا يرضيهم ان يسمعوها هذه الجملة العظيمة: (الامة الإسلامية) وتراهم يفزعون بها ويرتاعون لها ارتياع العصفير إذا سمعت دوى المدفع ثقيل يدك أهدافه !

ان كتامة وصنهاجة من البربر. وجددهم هو مازيغ بن كنعان بن حام كبقية القبائل البربرية الكبرى. وليس أصل البربر هو يافت ولا سام. ولكنه حام بن نوح. ويشهد على ذلك الموطن واللغة. قال ابن خلدون: «وما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواتة. وهوارة. وزناتة. وهذه كلها مزاعم. والحق الذي شهدت به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب»<sup>5</sup>.

### سبب تسمية الأمازيغ بربراً

ان جد البربر هو مازيغ بن كنعان بن حام. والبربر يسمون أنفسهم (الأمازيغ) ويعتدون بهذا الاسم. وهم لا يطلقونه إلا على الاقحاح الصرحاء فيهم. أما النزلاء الدخلاء الذين يتبررون كعبيدهم ومواليهم فلا يسمونهم أمازيغ. لأنهم ليسوا من سلالة مازيغ. ومعنى الأمازيغ عندهم هو الأشراف. يعني الصرحاء أبناء مازيغ الذين يحملون شخصية البربر العظيمة. ويتصفون بأخلاقهم التي تطبعهم بها الوراثة المازيغية الزكية. ويسمى البربر لغتهم البربرية (تمازغت) نسبة إلى الأمازيغ. وقد أرسل عمرو بن العاص لما كان واليا على مصر بعض رؤساء البربر إلى سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فسألهم عن نسبهم فقالوا «نحن أبناء مازيغ»<sup>6</sup>.

وقد سمى العرب الأمازيغ بربري. أما للغتهم التي لا يفهمونها. وكان العرب يسمون كل أصوات لا يفهمونها بربرية. يقولون: بربر الأسد إذا زمجر بأصواته. وأما ان يكونوا قد نسبواهم إلى جهم السادس<sup>7</sup> وهو بربر بن تملأ بن مازيغ بن كنعان بن حام ابن نوح عليه السلام. وارى ان نسبة البربر إلى جهم السادس هو سبب تسميتهم بهذا الاسم لا لغتهم التي لا يفهمها العرب. ولو كانت اللغة ي السبب لسموا كل جنس لا يفهمون لغته بربرا كأقباط مصر ولغتهم حامية كلغة البربر. والسودانيين.

ان البربر الذين سموا أنفسهم أمازيغ نسبة إلى جهم مازيغ. ق سموا أيضا أنفسهم بربرا نسبة إلى جددهم بربر بن تملأ بن مازيغ. فهم الذين تسموا بهذا الاسم اعتدادا

5 - كتاب العبر لابن خلدون ج 6 ص 97 ط. بولاق بالقاهرة.

6 - نظر قصة الوفد في الجزء الثاني من هذا الكتاب ص 7 ط . الحلبي بالقاهرة 1963.

7 - يكون سادسا إذا ابتدأنا العد من نوح وهو ما يمكن في هذا المقام ولا يمكن غيره.

بجدهم. وفخرا بهذا الأصل الشريف من أصولهم. وما يؤيد هذا أننا وجن هذا الاسم يطلق عليهم فقبل الفتح الإسلامي. وقبل ان يعرفهم العرب في عهد الرسول وخلفائه الراشدين. لقد كانوا يتسمون بهذا الاسم قبل الميلاد في عهد القرطاجيين. وقد سميت دولة قرطاجنة (الدولة البونيقية) وهو تركيب مزجي من البربر والفينيقيين.<sup>8</sup> فإذا كانت هذه لتسمية قيمة فهي من الشواهد على ان اسم البربر قديم. أطلقه البربر على أنفسهم. ليس العرب ولا الرومان.

### غفلة المؤرخين وتقليدهم

ان بعض الغافلين من المؤرخين المغاربة الذين لا يتورعون من سب أجدادهم. وصفح وجوههم. وفقاً عيونهم بأصابعهم قد ظنوا ان سبب تسمية أجدادنا بربراً كسبب تسمية الرومان لتوحشين الأوروبيين الذين يغزونهم بربراً. وإذا أطلق الرومان هذا الاسم على الغزاة الشجعان تشبيهاً لهم بالبربر. فلفتكهم بهم كالبربر الذين يثورون على الرومان الذين استعمروا بلادهم فيفتكون بهم. لان البربر متوحشون كأولئك الأوروبيين الغزاة.

ان البربر قد سبقوا الرومان إلى الحضارة. فمغربهم الذي بنوه. وزخرفوه. وعمروه بضارة قرطاجنة التي اخذوا بها وورثوها. فصار جنة عدن بالجمال. ولدينة والغنى وكثرة الخيرات. هو لفت أنظار الرومان إليهم فغزوه. فاحتلوا بلادهم لينعموا بخيراتها وحضارتها.

لم يكن البربر في العهود التي عرفهم فيها الرومان متوحشين. غزاة قراصنة. يحاربون لبطونهم كما فعي الغزاة الأوروبيون الذي هاجموا رومة حتى يقال: ان الرومان سموهم بربراً لشبههم بالبربر في هذه الصفات. بل لعمر ك أشبهما الأمازيغ في الفروسية. والشجاعة والجرأة. وركوب ظهور الرومان في الحروب. فسموهم بربراً لذلك! وقد قلد بعض المؤرخين المشاركة الأوروبيين المتعصبين الذين يعللون تسمية أجدادنا بربراً بذلك التعليل الروماني السقيم. فوقعوا في خطأ كبير كما وقع المغاربة. وحققوا غرض المستعمرين الرومان القدماء وأحفادهم في هذا العصر. وكلهم لتلهب جنوبهم بضربات لبربر. ويرون لبربر في جبالهم هم السيل القوي الذي سيجرفهم إلى البحر. ويظهر المغرب منهم فعملوا كل جهدهم والحط من شأنهم! لقد قلد بعض الشرقيين وبعض المغاربة أولئك المستعمرين في تعليل تسمية أجدادنا بالبربر. فوقعوا في خطأ كبير. وعقوا أجدادهم وأعمامهم. وأوغروا صدور إخوانهم في المغرب الكبير.

8 - قيل انه تركيب من الليبيين والفينيقيين.

ذلك هو أصل البربر وسبب تسميتهم بربراً فما أقسامهم؟

### أقسام البربر

ان البربر ينقسمون إلى فرعين عظيمين: البرانس والبتر. والبرانس هم أبناء برنس. والبتر هم أبناء مادغيس ويلقب بالأبتر. وهما أخوان ومن نسل مازيغ بن كنعان ابن حام بن نوح.

### أقسام البرانس

قال ابن خلدون: «وأما شعوب البرانس فعند لنسابين أنهم يجمعهم سبعة جذم وهي : ازادجة ومصمودة. وأورية. و عجيسة. وكتامة. وصنهاجة واوريغة. وزاد سابق بن سليم المطماطي (النسابة البربري) لمطة. وهسكورة. وكزولة»<sup>9</sup> هذه هي أصول البرانس وهي عشرة أصول. وكل أصل ينقسم إلى قبائل كثيرة.

### أصول البتر

قال ابن خلدون: «وأما شعوب البتر فيجمعهم أربعة أجدام: اداسة. ونفوسة. وبنولوا الأكبر وهم: لواتة. ونفزاوة» هذه هي لأصول الكبرى لشعوب البتر. ويفرع كل أصل إلى قبائل كثيرة لا تحصى. عمرت المغرب من أدناه إلى أقصاه. وانتشرت في كل رحابه. ولم يكونوا بالأمة القليلة كما يتوهم الغافلون. ولا بالشعب الهزيل الضاوي لقله أفراده كما يعتقد بعض المؤرخين المحدثين. فحكموا أحكاماً خاطئة على الدماء لبربرية والأصل البربري. بل هم كما قال ابن خلدون: «هؤلاء البربر. جيل وشعوب. وقبائل أكثر من ان تحصى<sup>10</sup> وهم سكان المغرب القيم ملئوا البسائط والجبال من تلولة. وأريافه. وضواحيه وأمصاره»<sup>11</sup> ! هؤلاء هم البربر امة واحدة. ذات أصل واحد. امتن لله عليها بالإسلام فكانت جزءاً من الأمة الإسلامية. وامتزجت بالمسلمين وبالفاحين وبمن انتقل إليها من القبائل العربية. فصار مغربنا بمنة الإسلام الذي أحيى بين الشعوب مزيجاً من الدماء البربرية والعربية. نشعر بالكل أجدادنا. ونحس بعروقنا في بني سام وفي بني حام. نعتد بمفاخرهم جميعاً. وبوارثة الفريقين معاً.

ان الشعب الوحيد الذي رجب به البربر. وفتحوا له صدورهم. وجاءهم جماعات كبيرة

9 - كتاب العبر ج ص 89 ط نوق بالقاهرة.

10 - كتاب العبر لابن خلدون ج 6 ص 103 ط. بولاق بمصر.

11 - نفس الصفحة.

## دعاوى المؤرخين الباطلة، وترهات المستعمرين

### في أصل البربر والدم البربري قبل الإسلام

ان البربر امة صريحة النسب، واحدة الأب. تنبع جميع قبائلها من أصل واحد و مازيغ بن كنعان، وليسوا خليطا من شعوب شتى كما يعي المغرضون من المؤلفين الذين تسيرهم الأهواء السياسية، والأغراض الاستعمارية. لا الأمانة وحب الحق. وبعض هؤلاء المدعين يريدون الحط من مقام البربر بهذا الزعم.

لقد رأوا جماعة من الفرس، وجماعة من اليهود، وجماعة من الزنوج تهاجر إلى المغرب قبل الإسلام فتستقر فيه، وتختلط بالبربر وتفتنى فيهم، فقالوا: ان البربر مزيغ من الدماء وأخلط من الشعوب، لامتزاج تلك الجماعات الصغيرة في الشعب البربري العظيم، كان السحائب إذا أمطرت على البحر المحيط وامتزجت به تصيره نهرا!

ان البربر شعب كبير غزير العدد، وأمة وفيرة واسعة الأطراف، لا خصى أعدادها، ق هاجرت إليهم طوائف من اليهود الساميين، والفرس الآريين، وغيرهم قبل الإسلام فذابوا فيهم، وتبربروا في كل شيء، فلم يبقوا على صبغتهم الأولى حتى يؤثروا ببيئتهم الاجتماعية الجديدة في البربر، ولا كانوا من الكثرة بحيث تغلب ماؤهم على ماء البربر أو تعادلها، فيجعلون البربر مزيجا من ماء شتى، ثم ان البربر فيهم، فأعانتهم على هضمهم؛ كانوا أقوياء الشخصية، معتدين بأنفسهم اعتدادا يوحى بتقليدهم إلى كل الغرباء، سيما إذ كانوا جماعة صغيرة مستضعفة أوت إليهم لتستظل بجناحهم، فتراهم بهذه القوة في الشخصية يصبغون غيرهم بصبغتهم فيصبح بربريا، ويصهرونه في بوثقتهم فيكون جزءا منهم.

ان الجماعات الغربية التي انتقلت في فترات متباعدة إلى المغرب فاستقرت فيه، إنما هي جماعة من الفرس، وجماعة من الإسرائيليين من الشام، فاختلطوا بالبربر فذابوا فيهم، وقد انتقلت إليهم جماعة من الفلسطينيين، وجماعة من المصريين، وجماعة من السودان فذابوا فيهم، وامتزجوا بهم كما تمتزج الساقية بالنهر، ويختلط المعدن بجنسه لأنهم من أصل واحد.

فامتزج بهم، واثر في دمائهم، إنما هم الشعب العربي المسلم، أم الشعوب الأخرى التي غشيت المغرب قبل الإسلام لاستعمارهم، فان البربر كانوا بمعزل عنهم، لم يمتزجوا بهم، ولم يتأثروا بدمائهم، وكذلك الجماعات التي هاجرت إلى المغرب لائتذ بالبربر فأووها، وفسحوا لها في ديارهم، وفي أسرتهم، فذابت في البربر لم تؤثر في دمائهم، وقد ادعى بعض المؤرخين المسلمين لأغراض سياسية ان كتامة، وصنهاجة، وهوارة ليست من أصل بربري، وادعى بعض المستعمرين ان الدماء لبربرية مزيغ من ماء الآرية وغيرها من دماء الجماعات المستضعفة التي ذابت فيهم، يريدون بذلك تنقيص البربر، وإيهامهم بان المغرب تربطه بأوروبا رحم قديمة ليوجهوه إلى لشمال، والله قد جعله بالإسلام وقرابة الدماء يتجه إلى وطن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، فهل صحيح ما ادعاه المستعمرون، وقلدهم في دعواهم الباطلة بعض المؤرخين المغاربة: ان ماء أجدادنا الأمازيغ قبل الإسلام كانت مزيغ من أم شتى ومنها الدماء الآرية؟! هذا ما ترى بطلانه في الفصل التالي ان شاء الله.



ان هؤلاء وان فرضنا بقاءهم على شخصيتهم لم يذوبوا فكانوا أصولا لفروع من البربر. لا نستطيع الادعاء ان البربر مزيج من شعوب شتى لان هؤلاء أصلهم هو أصل البربر. فكل الفلسطينيين والمصريين. والسودانيين أبناء حام بن نوح عليه السلام.

ن هؤلاء الذين هاجروا إلى المغرب فاستقروا فيه ليسوا جماعات مغيرة جاءت للاستعمار ولتسلط فنقول أنهم بقوا شعبا مستقلا متماسكا. توحدته عصبية. فلم يذب في البربر. ولم تغلب علي ماؤهم. بل هم جماعات مستجيبة جاءت للاستقرار في المغرب. والاختلاط بالبربر. فلولا موافقتها لهم في المزاج. وإعجابه بالبربر ما هاجرت إليهم.

ان الاسرائيليين الذين اجروا إلى البربر كانوا من بيئة لشام التي صبغت البربر قبل انتقالهم إلى المغرب. وهي أيضا اقرب إلى بيئة المغرب الطبيعية. فكل المواطنين على الاعتدال في الجو. والخصب في التربة. والجودة في المناخ. وهذا يجعل مزاج أهل الشام شبيها بمزاج أهل المغرب. وتقارب الأمزجة. ونية الاستقرار والإقامة. والاختلاط. يجعل الجماعة الصغيرة تذوب في الكبيرة.

### الأسباب لنفسية لذوبان جماعة الغريبة في الشعب القوي

ان الفئة القليلة إذا اختلطت بشعب كبير قوى الشخصية كالبربر لا يذوب فيه. ونكون جزءا منه. هذا هو طبع البشر. وجبلة الإنسان لثابته. لان الله سبحانه قد خلق في الإنسان مجموعة من الغرائز. والميول الفطرية تجعله يمتزج بالجماعة التي يختارها. ويذوب في القوم الذين يعجب بهم. لقد خلق فيه الغريزة الاجتماعية. وغريزة حب الظهور. والميل إلى التقليد. والتأثير بالإيحاء والمشاركة الوجدانية. وهذا كلها تصبغه بصيغة البيئة الاجتماعية التي اختارها وجعله جزءا من الجماعة التي يعاشرها: تدفعه كل هذه القوى فيه. وتدفع غريزة الاجتماع للتطبع بطباع الجماعة ليمتزج بها فيأنس بها. ويحترم فيها: وفي الأئس غذاء ضروري لغريزة الاجتماع التي تصرفنا في أعمالنا وأجأنا أكثر من غريزة البحث عن الطعام: وفي الاحترام غذاء لازم لغريزة حب الظهور والاحترام التي تسيطر عليين. وتوجهنا في كل أعمالنا لنشبعها أكثر من الغرائز الأخرى.

كان البربر معتدين بأنفسهم. فخورين بشخصيتهم. فلا غروا إذا أوحوا بحب تقاليدهم. ولغتهم إلى هذه الجماعات التي هاجرت إليهم. فتبررت في لغتها وتقاليدها. كم تبررت بعد ذلك في مائها لما اختلطت بها دماء البربر فأذابتا فيها. فأمسوا بريرا في كل شيء.

ان ذوبان هذه الجماعات الصغيرة في شعب لبربر العظيم شيء ضروري قد وضع لكل الشعوب العظيمة التي تسكن أوطانا متازة كوطن البربر. وتتسريل بحضارة راقية كالحضارة التي أنشأها البربر في بلادهم. والشعوب التي يمكن ان تعي ان دمائها لم تنسكب فيها قطرة من شعوب أخرى عي البدائية المتوحشة التي لم يعرفها العالم ولم تعرفه. أما لبربر فجنس عتيد متحضر ق رغبت في معاشرته كل الأجناس. وبلادهم جنة عدن بالطبيعة والحضارة فقصدتها كل الشعوب. أننا لا نجد شعبا واحدا راقيا لم تهاجر إليه جماعات فتفنى فيه.

ان العرب في القرون الهجرية الأولى قد امتزج بهم من الفرس والروم والبربر والمصريين والزنوج وغيرهم أضعاف ما امتزج من الشعوب القليلة المذكورة بالبربر. ومع هذا الاختلاط الذي اثر في مزاج العرب وشخصيتهم. واراننا منهم في القرن الثاني والثالث الهجري أجيالا بعيدة كل البعد عن أهل الجزيرة المسلمين في مزاجها وشخصيتها وأجأها -مع هذا- يقرر بعض المؤرخين بان العرب في تلك القرون جنس صريح. أما البربر في أول عهدهم فخلط من شعوب شتى! .

لقد ادعى المغرضون من الأوروبيين أيضا هذا الدعوى. وأكدوا ان البربر خليط من أجناس كثيرة. وليسوا جنسا واحدا. ليفرقوا جماعتهم. بإبهامهم أنهم من أصول عديدة. ومن شعوب مختلفة. وبيالغ هؤلاء المغرضون الأوروبيون خاصة في تأكيدهم ان البربر مزيج من دماء حام والدماء الآرية. وان الإغريق والرومان قد اختلطوا بهم واثروا في دمائهم. فهل صحيح هذا الادعاء الذي يستميلون به المغرب الذي يريدون قطعه عن أصوله. وابتلاعه ليكون قطعة منهم. وجزءا من بلادهم. يتممون بخيراته مواردها. أما أهله فان يذوبوا فيهم فكالرقعة الرخيصة في الحذاء. تلتصق بها لسد الخروق. وهي وان تشبثوا بها قذى في عيونهم لا يروق. لأنها من لون آخر أبي أو اسمر والنعال حمراء!

ان يقين هؤلاء الأوروبيين الذي لا شك معه. أنهم من م و البربر من صنف آخر من الدماء. بعيد كل البعد عنهم. لقد عاش البربر من الأمم الأوروبية الإغريق والرومان والوندال. أما الإغريق فكانوا في المغرب أقلية قليلة. ومع هذا فإنهم لم يمتزجوا بالبربر امتزاجا يؤثر في الدماء. لقد انتقلوا إلى المغرب للتجارة والصناعة. فبقوا فيه أجانبا إلى ان رحلوا إلى بلادهم. أو قضت ثورات البربر عليهم. أما الرومان والوندال الذين غزوا البربر واستعمروهم فقد كان البربر يرونهم أعداء الداء. فنفروا منهم كما ينفر المرء من شر الأمراض وأخبث الأوبئة. وابتعدوا عنهم في كل شيء. فلم يستطع الرومان بعد قرون عديدة قضاها في المغرب ان يؤثروا في أمزجتهم بمدخله مائهم للبربر.

ان البربر شعب قوى كرم يعت بنفسه وبجنسه كل الاعتداد. لا يرون جنسا أكرم من جنسهم فيطعمونه بدمائه. ويزكون عرقهم بعرقه. انه هناك شعب يمقته البربر كل المقت. وهو بعيد عنهم في المزاج كالرومان. فكيف يمكن الادعاء بأنهم اثروا في دماء البربر فصار البربر بهم وبغيرهم من المستعمرين الذين غزوه وتسلطوا عليهم من دماء شتى. وأجناس مختلفة؟!

### أسباب دعوى المؤرخين ان البربر من بني سام وادعاء بعض البربر أنهم ليسوا من حام

وقد ادعى بعض المؤرخين المشاركة، وقلدهم بعض المؤرخين المغاربة، ان كتامة وصنهاجة، وهوارة من أصل يمني. وأنهم من أبناء سام لا من أبناء حام؛ كما ادعى بعضهم ان البربر كلهم من اليمن. ان هذا زعم لا تؤيده الأدلة القوية. فكتامة، وصنهاجة، وهوارة من جملة شعوب البربر. وأصلهم كلهم حام بن نوح. والذي دعا المؤرخين المشاركة إلى هذا الزعم هو إعجابهم بالبربر ويطولتهم فألقوهم بهم ان كتامة هي التي نصرت الدولة العبيدية أيام نشأتها فلا يبعد ان يكون مؤسسها أبو عبيد الله الشيعي ومن سبقه من دعاة الشيعة قد ادعوا ان كتامة من العرب ليستميلوها إليهم.

وكانت الخرافة والبدعة الممقوتة التي وضعها بنو أمية وبنو العباس في الدين لتعصبهم لأنفسهم. وهي وجوب إسناد رئاسة الدولة الإسلامية إلى قريش والى العرب وحدهم. لا يجوز ان يتولاها سواهم كالبربر والفرس. كانت هذه الخرافة التي نشرها بنو أمية وبنو العباس وصنائعهم في براعة فاعتقدتها الدهماء بما حدا بكثير من ملوك البربر وأمرائهم كمحمد بن تومرت ويوسف بن تاشفين إلى الادعاء بأنهم من سلالة العرب. ثم يصلون نسبهم بقريش. ثم يخلقون لهم أجدادا في بني هاشم. لتدين لهم النواحي التي نشر فيها الأمويون والعباسيون تلك الخرافة التي يناوئها الإسلام. وبأباها الذين الإسلام العظيم الذي جاء لحو الأنانية والعصبية من الدنيا.

ان البربر أخوان العرب بالدين الواحد الذي توالى قرونا. وبيئة الشام التي جاور فيها البربر بني كنعان من العرب قديما. وبيئة المغرب التي جاوروا فيها قرونا متصلة. والدين الواحد. والبيئة الواحدة إذ استمررا طويلا هما اللذان يخلقان الشخصيات المتماثلة أكثر من الوراثة إذا اختلفت بيئتها. بل ان الصفات الموروثة التي يتميز بها الشعب. وتكون شخصيته ما هي إلا ولية البيئة الاجتماعية التي يخلقها الدين. ووليدة البيئة الطبيعية. فكيف مع هذه القواعد النفسية التي لا تخض يدعي احد بعد قرون عاشها

في المغرب انه عربي وسواه بربري. وان هناك فرقا بين أبناء المغرب المتجانسين بالدين الواحد. وباختلاط الدماء. وفعل البيئة الواحدة!

ان العربي الذي جاور البربري في المغرب أو في الأندلس يماثل البربري في كل شيء أكثر مما يشابه العربي الذي بقي في جزيرة العرب أو سكن في الشام أو في العراق. لان البيئة الاجتماعية والطبيعية الواحدة إذا استمرت تصبغ ساكنيها بلون واحد. فيصبحون بعد جيل أو جيلين شعبا واحدا لا فرق بينهم. هذا ولو لم تقع المصاهرة التي تنتقل بها الوراثة. ويكون بها امتزاج الشعوب. فكيف وقد تزوج العرب من البربر. واثروا الجمال البربري. وخصائص البربرية الجميلة في شخصيتها. ان جمهور العرب الذين هاجروا إلى المغرب فاستقروا فيه قد نزحوا النساء البربريات. لما تمتاز به البربرية من قوة في الشخصية وجمال في الشخص. فاختلطت ماء الجنسين. فصرنا نحن أبناءهم جميعا. وصار المغرب اليوم مزيجا من الدماء البربرية والعربية. قد امتزجت واتحدت فكونت هذا الشعب المغربي الذي يصل بخصائص العرب والبربر جميعا.

لو ان العرب الذين هاجروا إلى المغرب فاستقروا فيه كانوا أكثر عددا من البربر ما أمكن ان نقول أنهم بعد قرون بقوا جنسا مستقلا عن البربر في المغرب للأسباب التي تؤثر في الإنسان وهي الدين. والبيئة الاجتماعية والطبيعية وكانت واحدة. فكيف والبربر أضعاف العرب في العدد فهل يمكن بعد هذا ان نقول ونعتقد اعتقادا راسخا ان أهل المغرب اليوم شعب واحد هو مزيج من الدماء العربية والبربرية. وشخصية واحدة هي وليدة المغرب الجميلة. وان شعبنا للدين الإسلامي العظيم الذي عم كل أنحاء المغرب. وآمن به أهل المغرب. ق خلق فيه من أسباب الامتزاج والاتحاد ما لا تجده في قطر آخر من الأقطار التي تجاوره وتعاصره الآن.

أننا لا نرى أي فرق في الشخصية في عهود الإسلام بين العربي ولبربري حتى نعذر من يلحق قوما بقوم زاعما انه يرفعهم بهذا الإلحاق. والأسباب التي تخلق الشخصية فيهما واحدة. وهما معا من المعادن الكريمة بهذه الأسباب.

ان العرب من الأجناس الكريمة. والبربر مثلهم جنس كرم لا يقل عن العرب في فضيلة من الفضائل التي يكون بها التقدم والظهور. ان كرم الجنس البربري هو الذي حقق امتزاج العرب بالبربر لما فتح المسلمون المغرب. وكان امتزاجا سريعا كما يمتزج الماء بالماء. ويختلط الذهب بالذهب فيصير سبيكة واحدة لا فرق بين أجزائها في التلألؤ والصفاء! ان أبناء المغرب اليوم مزيج من هذين الجنسين الكريمين. ليس فيهم بربري خالص. ولا

لقد عرفنا أصل البربر فما مواطن شعوبهم الكبرى في القدم بالمغرب. هيا بنا نعود إلى التاريخ لتقديم نستقري فصوله. بعد ان غسلت صدرك من أوهام المستعمرين. واستطردت بك إلى مكائدهم فأطلعتك عليها. وعقدت لذلك ذا الفصل الذي لا يعد خارجا عن موضوعنا. انه زبدة الأبواب الماضية. وفصل يوجب التاريخ الذي نقصد به تربية المجتمع وتهذيبه. وتصفية التاريخ القديم من أو شابه. وتقديم التاريخ إليك في عمق الفلسفة وجمال الأب. هيا نتسرح في أنحاء المغرب الكبير لنرى مواطن أجدادنا فيه. انه شيء لا بد من معرفته. والاطلاع عليه.

### مواطن الشعوب البربرية في المغرب الكبير

ان تعيين أماكن الشعوب البربرية في المغرب يصعب سيما بع لفتح الإسلامي. لان هذه الشعوب كانت امة واحدة. وقد حضرت في تلقم فاختلطت في المدن والقرى فلم تعد هناك بقعة يختص بها شعب وحد. غير ان هذه الشعوب لما كانت في بدايتها كانت لها أمكنة معروفة. وقد زال هذا في اغلب بقاع المغرب في العهد الإسلامي وهو الذي بقيت لنا مصادره. فصرن نرى الشعب الواحد كزنانة. أو هواره. أو صنهاجة. أو لواتة. أو نفوسة وغيرها؛ نراها في المغرب الأدنى في طرابلس. ثم نراها في المغرب الأوسط. أو في المغرب الأقصى. أو فيهما معا. كلواتة. وصنهاجة. وزنانة فإنها في المغربين الأوسط والأقصى. ونجد لواتة غي المغرب الأدنى أيضا. كما نجد هذه لقبائل الكبرى في الساحل. ونجدها في وسط المغرب. ونجده في جنوبه بالصحراء. وقد عين ابن خلدون وغيره من المؤرخين الذين اعتنوا بتاريخ البربر أماكن لبعض شعوب البربر. ونحن نقتصر من هذه الأماكن على ما نسب إلى الشعوب البربرية الكبرى. ومن أراد معرفة قبائل البربر وأفخاذهم وأماكنهم فعليه بالجزء السادس والجزء السابع من تاريخ ابن خلدون<sup>12</sup> فإنه يجد فيه كثيرا مما يريد.

### أماكن الشعوب البربرية الكبرى

كان المغرب الأدنى تسكنه خمسة شعوب من أقسام البربر الكبرى. فلواتة كانت في برقة إلى خليج سرتن الأكبر. ومن خليج سرت في طرابلس إلى مدينة طرابلس كان لهواره. ونفوسة كانت في غرب مدينة طرابلس وجنوبها. وكانت زنانة في جنوب طرابلس جاور نفوسة. ولو كانت وزنانة ومعظم زنانة في المغرب الأوسط.

عربي قح. أنهم أبناء البربر والعرب جميعا. ولا يدعى خلاف هذا إلا بدوي يسكن في أعماق الصحراء منذ هاجر أجداده إلى المغرب من صعيد مصر. لم يعرف المدن ولم تعرفه. أو رجل لا يزال قابعا منذ مصينيسا ويوغرطة في قنن الجبال لم تعرفه الحضارة ولم يعرفها. أما أبناء المدن والقرى -وجل المغرب منهم- فأجدادهم هم العرب والبربر جميع. أنا لتشعر بالغيرة والحب والاعتزاز بكليهما لأنهما معا في دمائنا.

### تأثر المؤرخين بالدعاية الاستعمارية المغرضة ضد المغرب

#### والبربر

لقد تأثر كثير من مثقفينا الذين ألفوا في هذا العصر في تاريخ المغرب بالدعاية المغرضة التي شنتها السياسة المغرضة قديما وحديثا على البربر والمغرب. فتراهم إذا كتبوا عن البربر ينظرون إليهم نظرة شذراء. ويتحدثون عنهم حديث الأجنبي الشامخ الحرد عن الأجنبي. زاعمين أنهم عرب وأولئك بربر. لا صلة بينهم. وهم أجدادهم الأكرمون. وآبؤهم العظماء المحبون. أي عقوق اكبر من هذا العقوق البغيض. وأي وكفر للجميل اشد من هذا الفعل الشنيع! ان رأس الجهل والحقاقة ان لا يعرف المرء شمس الضحى فيصفها بالظلام. فيزور عنها. وينظر شذروا إليها؛ وان لا يعرف نسبه فيطأ بالأرجل الوحلة هاما كريمة هي رؤوس أجداده. ويكشثر في وجود جميلة جلييلة كريمة وفيه هي التي كانت تناغيه وتبسم في اليهود! !

لقد استغل الاستعمار اللاتيني خرافة انقسام المغرب إلى عرب وبربر فاحيا في الصدور الخالية من الاسم تلك الشنشننة الجاهلية. وعاضد أولئك الكتاب المغرضين الذين يوهمون أهل المغرب أنهم منقسمون إلى عرب وبربر. وأنهم جنسان متباعدان. ومن معدنين مختلفين. ليقطع الجسد الواحد إلى أوصال. فلا تكون فيه حياة تبرز برائينه. وتشخذ أنيابه. فيأكله كما يشاء. ويجعله مرتعه إلى الأبد. ليت شعري ه يصحوا هؤلاء الكتاب المقلون من سكرتهم. ويشقون من جهلهم فيفتحون عيونهم فيديرونها في أنحاء الغرب. ليعلموا ان المغرب كله من أدناه إلى أقصاه لا يضم إلا شعبا واحدا قد ميزه الله في قديمه وحديثه بكل أسباب الاتحاد. يس في تاريخه سبب واحد يوجب الفرقة من اختلاف في دين. أو اختلاف في المصلحة.

فاتل الله الاستعمار فقد مكن للعقيدة المفرقة لتسود. واستغل جهل المغرب بتاريخه فأوهمهم أنهم منقسمون إلى عرب وبربر. وما هم إلا مزيج واحد من كليهما فالعرب أجدادنا والبربر أجدادنا.

أما في افريقية وهي القطر التونسي اليوم فنجد نفزاوة في وسطه لغربي وجنوبه. فمن جنوب مدينة الكاف إلى جنوب قسطيلية مواطن لنفزاوة. ومن نفزاوة قبيلة ورفجومة التي تسكن في غرب مدينة قابس وجاور جبال أوراس.

أما في القطر الجزائري. فمن مدينة سكيكدة شرقا إلى مدينة بجاية غرب إلى شمال أوراس جنوبا. وهي نوميديا الوسطى والغربية. فلكتامة. ومن غرب بجاية إلى شرق مدينة الجزائر على طول الساحل فلزواوة. ما جبال أوراس معدن البطولة والباس ففيها مجراوة من زناتة. ولواتة. وهوارة. ومن لواتة القبيلة البربرية الكبرى في جبال أوراس بنو باديس. وكنت لهم اليد العليا قديما في جبال أوراس.<sup>13</sup>

أما في وسط الجزائر وغربه فمن شرق مدينة الجزائر إلى غرب مدينة مليانة غربا إلى مكان المسيلة جنوبا فلصنهاجة. ومن مليانة شرقا إلى وادي ملوية غربا كان لزناتة. وُجد في هذه البقاع أيضا مطماطة في جبال الونشريس. ولماية في جنوب تيهرت ومها هوارة ولواتة في نواحي تيهرت أيضا.

أما المغرب الأقصى فكان شماله لغمارة من البرانس ومعها مضغرة قبيلة من بني فاتن احد أقسام البتر الكبرى. وُجد في شمال المغرب مكان فاس أوربة من البرانس أيضا. أما وسط المغرب وجنوبه بجبال درن فالمصامدة. ومن المصامدة برغواطة التي استقلت في القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس في ساحل المحيط الأطلسي من مكان مدينة لرباط إلى أسفي.

أما صحراء الغرب لأقصى والأوسط فنجد في صحراء المغرب الأقصى قبائل صنهاجة. وكذلك في غرب الصحراء للمغرب الأوسط. وفي صحراء المغرب الأوسط جُد هوارة. ومن مدنها (هفار) وارى ان تسميتها الأولى (هوارة) باسم ج هوارة هوار بن اوريغ. والبربر معتقدون بأصولهم. أوفياء لأجدادهم. وليس تسمية المن بأسماء من يراد الإشادة بهم. والاعتراف بجميلهم بالشئ الحديث. أرى ان تسميتها الأولى هوار. ثم وقع التحريف في الواو فقلبن (فافا) ويقع هذا القلب كثير في اللغة العامية. ووقوع الأخطاء ثم تشيع ما نعهده في اللغة الدارجة. ومع هوارة في الصحراء زناتة. ومن زناتة ورجلة. ومن منها ورجلان. وهي عاصمة الصحراء في الشرق الأوسط قبل الإسلام وبعده إلى القرن العاشر الهجري. وكانت أماكن وادي ميزاب مواطن لزناتة. وكذلك مدينة الاغواط فإنها للقبيلة البربرية الاغواط من زناتة. وعلى العموم فإننا جُد في الأغلب البرانس في البرانس في السواحل والبتر في الوسط المغرب الكبير وجنوبه.

13 - انظر أخبار بني باديس في جبال أوراس في تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 117 ط بولاق بالقاهرة.

هذه هي مواطن الشعوب البربرية الكبرى في المغرب الكبير. ومع كل شعب من هذه الشعوب الكبرى. في منازل ودياره قبائل بربرية أخرى تعيش معه عيش الغزال مع الأروى في الروض الواحد. فجميعهم أبناء مازيغ. والمغرب الكبير من أدناه إلى أقصاه كل وطنهم. فأينما جُد القبيلة هناءها وساعدتها فهو وطنها. حُط فيه الرحال. وتبني الديار. وتمتدج بسكانه الأمازيغ. وتصاهرهم. وتتعانق قلوبهم بالوداد والمحبة. ويعيشون أسرة واحدة لا فق بينهم في شيء.

هذه مواطن الشعوب لبربرية الكبرى في المغرب. وق علمنا ان أصل أجدادنا البربر هو حام بن نوح عليه السلام. وأنهم انتقلوا إلى المغرب من الشام فكيف كانت معيشتهم في عهود البداوة قبل ان يتمدنا. وكيف كان لباسهم. ومامسا كنهم. وما هي تفاصيل أحوالهم الأخرى في العصر الحجري وفي عهود بداوتهم قبل ان يتحضروا.

### الحياة البربرية

لقد دخل البربر إلى المغرب قبل التاريخ. وكانت حياتهم على حسب تلك العهود الحجرية بسيطة في كل شيء. ثم تطورت وترقت بمرور الأزمان. واختلاطهم بالأمة المتحضرة سيما الفينيقيين. وقد جاءوا إلى المغرب بكثير ما أخذوه من الشام بمجاورتهم لإخوانهم بني فلسطين بن حام. وبني عمومته بني إسرائيل والعرب من بني كنعان. كم تأثروا بكثير ما ورد عليهم من مصر من أساليب العيش وطقوس الذين. ف عجب إذ رأينا البربر في عهودهم الأولى يشبهون أهل الشام في أشياء. ويحاكون المصريين في أمور. مع امتيازهم بأشياء هي ولية مزاجهم وبيئتهم الجديدة.

### مساكن البربر

كان البربر في القديم منهم المدنيون الذين يسكنون القرى. ومنهم الرحل الذين يسكنون الخيام. وكانت ديارهم في قراهم بسيطة. وكانوا يبنونها على حساب طبيعة المكان. فأهل الجبال حيث تتراكم الثلوج وتكثر الأمطار كانوا يبنون بيوتهم بالحجارة ويسقفونها بالطين في شكل بيضي يمنع تراكم الثلوج. وتجمع الأمطار. ثم اهدتوا بعد ذلك إلى القرميد فسقفوا به بيوتهم. وأما هل الجنوب حيث الجفاف في الجو. والقللة في المطر فيبنونها بالطوب. ويسقفونها بخشب الأشجار وغيرها من ضروب النباتات. ومنهم من يتخذ لسكانه خصا من فروع الأشجار. أو من القصب وغيره ما يصلح لاتخاذ الخص المتين.

وكان للبربر في البناء طريقة عجيبة تقاوم الحر والبرد. وجعل الدار على الاعتدال في الجو. وفيها الاقتصاد كذلك في تكاليف البناء. وذلك أنهم بينون جدارين متوازيين فيملؤون ما بينهما بالحصى فيصير جارا واحدا مرصوصا. كان هذا لما ترقت حياتهم فصاروا بينون الديار العالية. ويؤثرون الجدران العريضة للبيوت.

ومن البربر من ينقرون ديارهم في الجبال الصلدة. ويحفرون فيها أمتارا تكون دارا بسقفها العالي وبكل مرافقها ونوافذها التي تجدد الهواء. وترسل الأضواء. ان هذه الديار الجبلية في أعماق الصخور الصلدة اصح للأجسام لبعدها عن الاندء. وأسلمها عند الغارة. لأنها لا تهم ولا تخرب. وهي دافئة في الشتاء باردة في الصيف لا يرهق ساكنيها حر ولا قر. انها دليل على قوة البربر وعزائمهم الجبارة. فنقر دار في الجبل الصلد يشتمل على كل المرافق لا يستطيعه إلا الجبابرة في الأجسام. وفي جبل نفوسة إلى هذا العهد ديار من هذا النوع. وفي جنوب تونس. وفي جبال أوراس. وجبال القبائل بيوت من هذا النوع البربري. وكذلك في كثير من الجبال في نواحي المغرب الأخرى. وهي من الآثار التي يجب المحافظة عليها. ووقايتها من الانطماس.

أما الرجل من لبربر فكانت لهم خيام من الشعر والوبر. وكانوا ينتجعون بمواشيهم مواقع الكلا. وكانوا يصطافون في الأماكن الباردة في الشمال. ويقضون الشتاء في الأماكن المعتدلة في الجنوب.

### لباس البربر

وكان البربر يلبسون القشابة المعروفة عندنا في المغرب إلى هذا العهد. وهي أحسن لباس في الشتاء يقي من الزمهرير إذا تكالب. ومن المطر إذا اشتد. وهي جميلة المنظرى نعوق الحركة. ولا تمنع من النشاط. وتستر الجسم كله حتى الرأس. انها لباس من الصوف سابغ. مقفل من أمام. وبه كمان. ولباس للرأس موصول به من خلف.

وكانت القشابة لمزاياها الكثيرة هي لباس المجاهدين بالجبال في حروب التحرير الجزائرية. انها أجدى في المطر. وفي الوقاية من القر والحر من السترة العسكرية الأوربية. وهي أعون على النشاط. واستر لصاحبها من العدو. وهي فراش صاحبها في النوم وغطاؤه. انها من لباسنا المغربي الذي جب المحافظة عليه. والاعتداد به. وإيثاره على السترة الأوربية الناقصة.

ويلبس البربر البرنس أيضا وهو ثوب من الصوف يلبس فوق الثياب. ينسج قطعة واحدة. ويترك مفتوحا من أمام. لا يخاط منه إلا ما يقابل الصدر ليثبه إلى الجسم. ولبربر

يسلكونه في أعناقهم فيشتملون به. وللبرنس غطاء للرأس موصول به من خلف يقي الرأس من البرد والأمطار والعواصف.

لا يزال البرنس في المغرب. ان لباس جميل جليل. يكسب صاحبه مهابة. وهو لباس الرؤساء المعتدين بشخصيتهم لمغربية. يزدانون به في المحافل. ويؤثرونه في الأعياد والمواسم. انه جميل المنظر. جل الفوائد. ولكن القشابة أحسن منه للنشاط والعمل.

ان أهل الجبال يميلون إلى القشابة أكثر لأنها أدفا وأكثر وقاية من الأمطار والثلوج. أما أهل الصحاري حيث الاعتدال في الجو فيميلون إلى البرنس. والألوان الأثيرة عندهم في البرنس هو اللون الأسود والبني.

ويلبس البربر (الحائك) وهو رداء من الصوف يشتملون به. ولا يزال هذا اللباس البربري إلى الآن في ليبيا. وفي جنوب تونس. انه لباسهم الأثير في كل الفصول وقد انقطع هذا اللباس من الجزائر والمغرب الأقصى فلم يعد لباسا شعبيا كما هو في ليبيا. لا يزال (الحائك) موجودا في وادي ميزاب بجنوب الجزائر. ولكنه من النسيج الرقيق. ويلبسه أعضاء المجلس الديني فحسب كشعار لا كدثار.

ويلبس البربر تحت القشابة القميص أو القميص والجبة. وحت الرداء كذلك. ومع البرنس القميص والجبة. لا يكتفون باللباس الصوفي الظاهري وحده.

ويلبس البربر السراويل القصيرة التي تنتهي أسفل الركبة. والطويلة التي تصل إلى الكعبين. والنوع الأول لا زال موجودا في تونس. والنوع لثاني لا يزال إلى اليوم في طرابلس. ويلبسونه بالتكة. وهي خيط يدخل في حواشيه من أعلاه فيشد به إلى الخطر.

ويلبس البربر على رؤسهم (الفتور) وهو قلنسوة من الصوف عالية ملبدة مدورة. توع على رأس ويلبس فوقها لحاف صغير من الصوف رهيف ينسج خصوصا للرأس. أو يلبس فوقها حائك رقيق. ويشد من فوق بعمامة سوداء تتخذ من خيوط الوبر. والفتور إذا لبس في نظام ورشاقة له جمال ومهابة. وليس كما قال بعض الكتاب انه سمح ثقيل.

ان تنكر بعض الناس لشخصيتهم لمغربية. سيما الإسلامية يجعلهم يرون العادات المغربية الراقية سمجة ثقيلة لأنهم لا يرونها في أوروبا فلولا ان ضوء الشمس قد رأوه في أوروبا وسمعوا ثناء الأوروبيين عنه لهجوه في المغرب. وأنكروه. وأنروا الظلام عليه ! ذلك الفراش الغر الجاهل المتفرج الذي يعبد القشور. ويغرم بالبريق. ويتهافت على كل شيء لماع ولو كان النار التي تذريه رمادا!



تلك العرائس التي تسمت بأسماء الرجال. ولم يخلق الله فيها أخلاقهم واقتدارهم. وعلمهم. وسدهم للثغور الكبرى في الدولة!

كان أجدادنا البربر يلبسون القنور على رؤوسهم وهو لباسهم في الحافل. وفي الأعياد. وفي أيام الزينة. وهو لباسهم إذا ركبوا الخيل للسباق. واحتفلوا بالعاب الخيل في الأعراس. أما في وقت العمل فيخلعونه.

انه لباس السراة منهم والفرسان. أما لباس الفقراء منهم للرأس. ولباس الخاصة أيضا في وقت العمل فقلنسوة خفيفة غير ملبدة تلبس وحدها في الصيف. وفي الشتاء يلبسون فوقها لحافا صغيرا خفيفا من الصوف يريه اللابس على رأسه. ويمره من تحت حنكه ليقى عنقه من البرد. ويشد للحاف على الرأس بخيط واحد أو خيطين من الوبر.

لا يزال القنور إلى اليوم في الجزائر. وارى ان قنور ليوم قد تطور فلم يبق على حاله البسيطة القديمة.

ان عدم وجو القنور في غير المغرب. وتمسك البربر بعاداتهم. يجعلنا نعتقد ان أصله بربري. من يري لعل العربية ق اقتبسها البربر من العرب بعد الفتح الإسلامي فتطورت. فصارت (قنورا) على الهيئة التي وصفنا.

ويلبس البربر الأحذية يتخذونها من الجلود. وأحذيتهم منها المدورة التي تستر القدم وحدها كالحذاء (البابوچ) الموجود إلى اليوم في بع أنحاء المغرب إلا انه ابسط. ومنه الحذاء لموصول بما يستر الساق إلى الركبة. ويلبسون الجوارب يتخذونها من جلود والصوف سيما أيام تحضرهم.

ان المؤرخين الذين ذكروا لباس البربر في القديم سيما في العصر الحجري إنما اعتمدوا على الاستنباط من العادات البربرية الموجودة في اللباس سيما في رؤوس الجبال حيث الاختلاط. ويتمسك الناس بالقديم. واستلوا أيضا على وجود ذلك النوع في القديم بتمسك البربر بعاداتهم. واعتدادهم. سيما في اللباس الذي يوحي به الجو الطبيعي الذي يكتنفهم. وهو ما لا يتغير كثيرا بتقديم الزمان. وقد ذكرنا ما أوردوه مستلين بما نراه شائعا في المناطق التي لا زالت تتكلم البربرية في المغرب - وان خالط اغلبها الدماء العربية - وتمسك أيضا مع اللغة البربرية بكثير من تقاليد أجدادنا البربر القدماء.

قد يكون الرداء الذي نجده إلى اليوم على حاله القديمة في الهيئة واللباس لأنه بسيط

لا يحاط. أما الألبسة الأخرى فقد تطورت وتغيرت كثيرا عن حالها الأولى أيام بداوة البربر قبل البونيقيين وبعدهم.

### طعام البربر

وكان البربر قد نقلوا معهم من الشام ما انتشر فيه من المزروعات. وكانوا يغرسون من الأشجار الزيتون ويستخرجون زيته لطعامهم. وقد وجدوا الزيتون البري الذي نبت وحده في سفوح الجبال فاستصلحوه. أما الحبوب فكانوا يزرعون منها الشعير. ومنه أكثر غذائهم. يؤثرونه على القمح الوفير لديهم لان الشعير اصح للأجسام. وأسرع هما. وأسهل في الزراعة. وأحسن للادخار. لا يداخله السوس بسرعة. ولا يفسد بطول الزمان.

والبربر يزرعون القمح والبقول. والمعول في غذائهم على الشعير وزيت الزيتون. ومن دقيق الشعير يطبخون لحساء ويتخذون الكسكس والخبز ويفتلون منه طعاما كالكسكس إلا انه أغلظ. فبعد ان ينضجوه بالبخار يلقونه في القدر فينج مع المرق وهو صنف لذيق لا زال موجودا في أنحاء من المغرب سيما في وادي ميزاب بجنوب الجزائر.

وكان البربر يصنعون الكسكس أيا من لقمح يجعلون مرقه الحليب والسمن وربما كان مرقه من اللحم وبعض البقول التي يزرعونها.

وكان البربر قد جاءوا من لشام بمواشيهم وهي الإبل والبقر ولغنم والخيل. وكانوا يشربون لبن البقر والغنم والإبل. ويقتاتون بلحومها. يشوونها ويطبخونها وكانوا يصطادون ضروبا من الحيوانات التي كانت تعج بها غابات المغرب وأنحاه خصبة الجميلة. وكان الزيت. واللحم. والشعير. والقمح. ولبقول تمتلئ بها ي كل أسرة ويحصل عليها بأهون سعي كل نسن من البربر لأنها من نتاج أرضهم الخصبة الغنية. فلذلك كانوا مثلا في كمال الجسم. ومثانة التركيب. وتام الصحة واعتدال الأمزجة. ووفرة النشاط.

ويصنع البربر من دقيق الشعير والقمح السويق. يقلون الشعير أو القمح فيخلطون بدقيقه الزيت أو السمن فيكلونه. وهو زادهم في الأسفار. ومقدمة قرهم للضيوف. ان غذاء صحي مؤونة فيه. لا يفسد بطول الزمان. وهو لائق لكل الفصول. وقد تطور هذا السويق في المغرب فصار يحلى بالسكر أو بالتمر. ويخلط به دقيق الأقاط أحيانا. ويصنع منه نوع من الكعك اللذيذ في الأعياد. ولا يزال السويق المحلى موجوا في أنحاء من المغرب سيما في وادي ميزاب. انه من أطعمة أجدادنا البربر. وهو موجود عند لعرب أيضا.

وكان البربر ينسجون الصوف فيبرعوا فيه كل البراعة. يتخذون منه الثياب الضرورية كالبرانس والقشاييات، والجيب، والدثر، وفرشهم التي ينامون فيها والأغطية والستائر، وغيرها. ولا زالت المرأة المغربية العاملة النشيطة التي وقاها الله من داء التفرنج والتنكر لقوميتها الإسلامية المقدسة، وحفظها من بطالة المدنية الجوفاء وخمولها؛ لا زالت تلك المرأة المغربية الغالية سيما في الجبال والجنوب مثلا في البراعة في صنع الصوف، لا تدانيها في هذه الصناعة المرأة في البلاد العربية الآن!

وكان البداية من البربر ينسجون مع ثيابهم لصوفية خيامهم من الشعر والوبر و الصوف، وكذلك مخاليتهم، وجوالقهم وغير ذلك.

### مزروعاتهم

أما مزروعاتهم أيام بداوتهم قبل ان يتحضروا فهي ما ذكرنا. الشعير، والقمح، والسلت والفلول. ان السللت قيم في المغرب، وان الطوارق المثلثين في الصحراء الكبرى - وهم من البربر- ليؤثرون الآن في أكلهم السللت على القمح لإلفهم له منذ الزمن القيم.

تلك جوانب من حياة البربر المادية، فما حياتهم المعنوية؟ كيف كانت لغتهم، وكتابتهم، ودينهم، ونظامهم الاجتماعي، وأشياءوهم المعنوية الأخرى؟

ومن طعام البربر وأكلهم الدائم (العصيدة) وهي دقيق يصب في الماء إذا على فيحرك كونه حتى ينضج، ثم يصبون عليه مرق الزيت واللحم والبقول فيأكلونه.

ان العصيدة طعام لذيذ إذا أتقن صنعه، صحي، يليق لذوي الأعمال المرهقة، والبنيان المتين، سهل الهضم، قوي الغذاء، انه لمتانه بنيان البربر وعظمة أجسامهم، ونفسهم لعملية، وكثرة نشاطهم كانت أنواع غذائهم الرئيسي الدائم قوية دسمه، كثيرة النشا والدهن، انه غذاء قوي لا يستمر عليه إلا ذوو المعدة القوية ويسميها البربر ارواي.

لا تزال (العصيدة) سائدة في أنحاء من جنوب تونس، وفي طرابلس سيما في جبل نفوسة، انها من أطعمتهم الرئيسية، وأحسن العصيدة عند البربر ما اتخذ من دقيق الشعير لأنه اخف وأسهل هضما<sup>14</sup> وقد تطور طعام البربر لما تحضروا، وتنوع، وكثرت ألوانه فصارت لا تحصى، وصار المغرب امهر في الطبخ، وأكثر أنواعا، وأذ طعاما من كل البلاد العربية، وان المرأة المغربية التي لا زالت متمسكة بتقاليدها الوطنية، وتقوم بواجباتها في البيت، لا تدانيها المرأة الشرقية في المهارة في الطبخ؛ والإتقان لأنواعه، ومعرفتها بفنونه التي لا تحصى.

ان كثيرا من أطعمتنا التي نظنها أندلسية ليست أصولها إلا من البربر، نشأت في أيام بساطتهم فتطورت معهم، ونقلوها إلى الأندلس فكملت فيها.

### ممتلكات البربر ومصنوعاتهم

والبربر في العصر الحجري كانوا يملكون الحيوانات الإنسية التي ذكرنا، والمنازل والخيام التي يسكنونها، والأراضي التي يزرعونها، والأشجار التي يجنون ثماره، كالزيتون الذي يتغذون بزيتيه، والتين الذي يدخرونه. أما مصنوعاتهم في العصر الحجري فهي كل ما يحتاجون إليه من آلة وأداة. وقد اشتغلوا بصناعة الحجر فبلغوا فيها الذروة، وكانوا يصنعون منها فؤوسهم، ومناقرهم، وأدواتهم في الصيد والقتال، ويصنعون منها معصرة الزيتون، والهاون، والمطارق وغيرها، ولما اكتشف النحاس والحديد بلغوا في صناعتها الشأو لرفيع، وكانوا في العصر النحاسي والحديدي كما كانوا في العصر الحجري على البراعة في صنع كل ما يحتاجون إليه ويتاجرون فيه.

ان البربر ذوو نفوس عملية ممتازة، وذوق رفيع، لا يعرفون الكسل وعدم الإتقان، فكما كانت ذروة الجبال مقصدهم في السكن، فالذروة والتمام في كل شيء ي مقصدهم !

14 - وقد يتخذونها من الباب البر ويخلصونها بالعتسل، وهي اخف من النوع الأول الدسم ان هذا النوع لا زال موجودا في جبل نفوسة بطرابلس

## لغة البربر وكتابتهم

ان للبربر لغة خاصة بهم. ممتازة كل الامتياز عن اللغات الشرقية غير الحامية بخصائصها وأساليبها. أنا اللغة البربرية التي لا زال يتكلم بها الثلث من سكان المغرب الكبير لا اليوم. وهي لغة حامية قريبة كل القرب من لغة قدماء المصريين التي لا تزال في بلاد النوبة. وفي بعض الكنائس القبطية في مصر.

واللغة البربرية سلسلة مرنة. تقبل كل الألفاظ الدخيلة فتبريرها فتصبح جزءا منها. ومن خصائصها التي لا تجدها في العربية الابتداء بالساكن كقولهم (تزاليت) للصلاة (تمارت) للحية. (تفويت) للشمس. (تفاوت) للنار. ومن خصائصها اجتماع ساكنين وأكثر وقد ينقلب فيها الفعل اسما والاسم فعلا.<sup>15</sup>

وتمتاز البربرية عن العربية بان تاء التأنيث فيها تكون في أول الاسم لا في آخره كقولهم: (تيزوين. تيوحين) الفتيات الحسنان. ان هذه جملة ترى فيها الوصف مطابقا للموصوف في التذكير والتأنيث. وقد يكون المؤنث في اللغة البربرية مختوما بتاء. ولكن لا بد من تاء في أوله لأنها علامة التأنيث عندهم كقولهم (تامطوت) المرأة (تامروت) للبندقية (توارت) للبوّة أنثى الأسد.

## خصائص اللغة البربرية

واللغة البربرية فيها كل العناصر التي تتركب منها العربية. ففيها الاسم. والفعل. والحرف. وفيها أساليب العربية من نظم. ونثر. ومن حقيقة ومجاز. وتمتاز عن العربية بان كثيرا من أسمائها مبدوء بالهمزة كقولهم (أجنا) للسما. وجمعة إيجنوان (إتري) للنجم وتثنيته سن إيتران ومعناه اثنان من النجوم: وعلامة التثنية في البربرية كلمة وليست حرفا كما هي في العربية وسن معناه اثنان. (شارد) بتفخيم الرء معناه ثلاثة. وهكذا تجد أسماء العدد في البربرية كما هي في العربية.

والفعل الماضي في البربرية يبتدئ بالياء أما المضارع فبالهمزة. والأمر يبتدئ بالهمزة وقد يكون بدون همزة كما يقع في العربية كقولهم (سو) اشرب. والماضي (يسوو) والمضارع (أيسو) والمصدر (أسوا) والأمر المبدوء بالهمزة كقولهم: (أش) يعني كل. والمصدر منه (إيشا) وكقولهم (إيجور) امش. والمصدر (تلجوريت).

ان الكلمات البربرية التي أوردناها من اللهجة الميزانية. وهي بربرية محفوظة في

15 - مثال اجتماع ساكنين كقولهم تفويت تفاوت تمارت كما ترى في السطر الذي قبل هذا.

الصحراء بجنوب الجزائر. انها لهجة زناتة متأثرة بلهجة لواتة. وهوارة. التي انتقلت من جبال أوراس. فحلت في وادي ميزاب. واستقرت فيه وامتزجت بأهله. وبلهجة لمائة التي انتقلت طوائف منها من جربة إلى وادي ميزاب فاستوطنته وذابت في أهله. وبلهجة نفوسة إلى جاءت منها زرافات إلى ميزاب فاستقرت فيه. وقد أثرت هذه الجماعات كلها في البربرية الميزانية. وأخذت الزناتية التي هي الأصل أحسن ما في كل لهجة من تلك اللهجات. لذلك تجدها لغة مصقولة. واسعة. جميلة الجرس. عذبة النطق. ولهجتها رصينة. ينطق بها كما ينطق بالعربية في فصحة ووضوح. يأخذ كل حرف فيها قسطه من الأداء.

ان البربرية الميزابية هي اللغة القريبة من اللهجات البربرية في المغرب الأوسط والأدنى للاختلاط الذي ذكرنا. والاختباس الذي أسلفنا. ان الشاوية في أوراس. والقبائل في جبال جرجرة. وأهل جربة في جزيرتهم. وأهل نفوسة في طرابلس. وسكان الريف في المغرب الأقصى يفهمون كلهم الميزابية. ويقههم عنهم الميزابيون لقرب اللهجة الميزابية من تلك اللهجات كلها. ان اللهجة البربرية في الريف بشمال المغرب الأقصى قريبة من الميزابية. وقد زرت الأمير عب لكرم الخطابى رحمه الله أيام نزوله بالقاهرة لاجئ في سنة 1947 ميلادية. وصار يتكلم مع أخيه محمد بلغتهم البربرية. فكنت افهم كل ما يقولان. سارعت فأخبرت الأمير بان لهجتهم كاللهجة الميزابية التي أتقنها. خوفا من ان يتباحثا في سر من أسرارهم الخاصة.

ان الامازيغية كالامازيغ أصلها واحد. والاختلاف فيها غالبا يكون في اللهجة لا في نوع الكلمات.

وقد آثرنا في التمثيل ان نورد الكلمات التي تدل على الأشياء الضرورية كالأكل. والشرب. والمشى. لتيقننا انها من وضع الأولين. لا من الكلمات المقتبسة الحديثة.

والترادف قليلة في اللغة البربرية بالنسبة للعربية. وكذلك المشترك. وذلك لشدة الاتصال بين القبائل وامتزاجها وتقارب لهجاتها. فقل المشترك والترادف فيها ولم يكثر كالعربية. ومن أسباب كثرة الترادف في العربية اعتناء العرب بلغتهم. ومباهاتهم بالفصاحة أكثر من البربر. ومع قلة الترادف في اللهجة البربرية الواحدة فان البربرية لغة واسعة يستطيع الخطيب المصقع ان يعتمد عليها فتمده بأدق الألفاظ وأوفاهها لكل المعاني التي تجيش في صدره. لا يصاب فيها بالعي. ولا تنحبس المعاني في نفسه.

وقد وع البربر لكل شيء ما وقع عليه نظرهم اسما فقالوا: (وار) للأسد. (موش)

بتشديد الشين للقط. (إيس) للفرس. (أغالت) لأنثى الفرس. (تاحجامت) للحمامة. (نيازيت) للدجاجة. (يازيض) للديك. وقالوا: (أرجاز) للرجل. (تامطوت) للمرأة. وقالوا في الوصف: (ازعلوك) للكبير وكذلك (أمقران) للكبير أيضا. (أميزان) للصغير. (تاسلت) للعرس الأنثى. (أسلي) للعرس الرجل. (أزفاغ) للأحمر. (أوراغ) للأصفر. (أجليد) للملك وفي البربرية أسماء جموع كقولهم: (تيسدانان) للنساء. وهذا اللفظ لا مفرد له من لفظه ومفرده (تامطوت).

أما النباتات فمن الأسماء فيها (إمندي) للقمح والشعير. وهو اسم جنس. أما النوع فيسمون القمح (إيردن) والشعير (تيمزين).

### الأمثلة في اللغة البربرية

وفي اللغة البربرية أمثلة حكيمة بها في المقامات. وهي كقواعد في الأخلاق. ومواعظ للناس. يعني المثل الواحد عن الكلام الطويل. ان البربر دهاة حكماء. الوقار عليهم اغلب. انك لا جدهم يميلون إلى الثثرة. ويملؤون الساحة بالعجيج. إذا تكلم احدهم في المجلس يتكلم في وقار وعمق. وفي إيجاز بليغ. لذلك كثرت الأمثلة في لغتهم. وانك لا تجد موضوعا من مواضع الكلام ليس فيه أمثلة عديدة بالبربرية. وكذلك الكنايات.

ومن الأمثلة في اللغة البربرية وفيه جناس أيضا: (ويوفين ولطيف. أديكلب وليتيف) من وجد فلم يقبض يبحث فلا يجد. يضرب مثلا لمن يضيع الفرصة. ومنها: (تالويت سوزاف إلا بلا سيقنطارن) معناه: ان الشفاء يأتي بالشعرة. أما المرض فيأتي بالقناطير. يضرب مثلا في النجاح والخير. ويأتي قليلا حين يكتمل. أما العاهات فتتزل مرة واحدة. ومنها: (الضل ولا ضالى) ومعناه: ان يغشى الظل دارك جدرانك الطويلة خيرة من ان يطلع عليك الجيران. يضرب مثلا للسفرة. والبربر أكثر الأمم كتماننا لأسرارهم. وغيره على حرمتهم. سيما في وادي ميزاب حيث يشيع هذا المثل الحكيم. ومن الأمثلة قولهم: (أغرم وليتوابني ديواس) يعني ان المدينة لم تب في يوم. يضرب مثلا لمن بمن يتعجل النتيجة في الأمور. ومنها قولهم: (ويدهكلن يطاود) من يتأن يصل. يضرب مثلا للمتعجل النزف في الأمور. ومن الأمثلة قولهم: (ادسدنت غفش توليوين نصيف) هذا كالمثال العربي: الصيف ضيعت اللبن. يقال لمن يفلت الفرصة ثم يقع في حاجة. سيما فرصة العمل والجد في إبانة. واصل هذا: ان النملة وهي دافئة شبعة في كنها في الشتاء. رأيت صرصورا يرتعد من البرد. ويتداعى من الجوع. فقالت له: تنفعلك اليوم زغاريدك في الصيف. ومن الأمثلة قولهم: (ويحسن سوف اسخدم الفايلت حما) يضرب مثلا لمن يضيع الفرصة ووقت

الاستعداد. ومعناه: من أراد ماء السيل لبستانه فيعمل له بنزع الأتربة من سواقيه. والشمس ضاحية. قبل ورود السيل الذي لا يبقى طويلا.

وفي البربرية كنايات كثيرة رائعة في كل موضوع. ومنها ما هو كناية عن صفة. وما هو كناية عن موصوف. وما هو كناية عن نسبة كما هي في العربية.

ومن كنايات البربرية قولهم: (اشر ومس دازيوار) غليظ الرقبة. كناية عن التجبر. (تيفمستس اتازعلوكت) معناها: ضرسه كبيرة. كناية عن الرغبة والنهم. (طيطس اتاوساعت) أي عينه واسعة. كناية عن الطموح وعدم الرضى بالقليل.

ومن الكنايات البربرية قولهم: (اولسملا تيفماس) أي لا تضحك لهم فيجتروا عليك. (إربي أمان إيوعي) يخلط اللبن بالماء. كناية عن المبالغة والكذب في الكلام. (تقن سوولمان) كناية عن عدم أحكام الأمور. ومعنى الجملة: مربوط بالطعمة. وهو خيط واحد.

ومن الكنايات قولهم: (اضفاغ تاوارت) معناه في الشكوة حجر. كناية عن وجود غريب في الجماعة. (ايغس تشورداست) كناية عن المكدر في الأمر الحسن. والمعنى العظم في (المحشي) واتشورداست من ألد اللحم وأطيبه عند البربر. وهو نوع من (المحشي) باللحم. ولا أراه يوجد في غير المغرب.

### الشعر في اللغة البربرية

وفي البربرية شعر رائع في كل المواضيع. سيما في الحماسة. والغزل. والتاريخ. والفخر. وفي جبال القبائل بالجزائر إلى يومنا هذا ما يملأ دواوين كبير من الشعر الرائع بالبربرية القبائلية في كل المواضيع. ولهم أناشيد غنائية لا زالت إذاعة الجزائر وإذاعة باريس تخصص لها اكبر جانب من الركن الفني. وترى كل من يفهم البربرية سيما اللهجة القبائلية تهزه تلك الأغاني. لحسن معانيها. وعمق وجانها. وجمال أغانها. وفي كل أنحاء المغرب التي تتكلم لبربرية قصائد من الشعر البربري. يتغنون بها في مناسبات. سيما المناسبات لعملية كوقت الحصاد للفلاحين. وأوقات النسيج للنسوة: وفي أيام لعرس للفتيات والصبايا. وفي الأعياد الدينية. سيما عيد المولد النبوي الشريف. وترى ميزاب وأنحاء المغرب تحتفل به احتفالا رائعا يدوم شهرا كاملا في بعض لنواحي. وترى الفتيات في ميزاب سيما في القرارة من أول ربيع الأول ينشدن نشيد المولد البربرية. في أصوات رخيمة ترقص حتى لجماعات. وكن يدرن في شوارع المدينة التي يسيطر عليها وقار الدين وظهره في أول الليل بين العشاءين إذا خف لزحام في الطرق. فيملأن المدينة بأفراح لمولد وأغاريد. وتراني أوقف عملي إذا مر السرب الهازج من شارعنا أو من الشوارع

نشيد مولد المصطفى عليه لسلام

أنشأه بالبربرية الميزابية الشاعر الأستاذ باجو صالح

الأصل والترجمة

يلولد سيدنا محمد \*\*\* تضوا لدونيت اس الأنوار

ولد سيدنا محمد \*\*\* واشرقت الدنيا بالانوار

آراني زال اتسلمد \*\*\* فواسي سجدنتاس الأشجار

اللهم صل وسلم \*\*\* على من سجدت له الأشجار

توليد تيزري نرسول \*\*\* تشعشع آماس نيجنوان

طلع بدر الرسول<sup>16</sup> \*\*\* واشرق في كبد السماء

تفكر نع آس إيديلول \*\*\* يا الله أناوي إيزلوان

فذكرنا بيوم ميلاده \*\*\* هيا ننشد أناشيد الأفراح

\*\*\*

سعدك ماماس يا مينة \*\*\* اتني اتصوددن حليلة

ماسعدك يا أمنة أم الرسول \*\*\* وما أسعدك يا حليلة مرضعه

دلعيالس اترواس اديسيس \*\*\* سيتز علوكت أفاطمة

وما اسعد زوجاته وبناته \*\*\* من كبراهن إلى فاطمة

يموت باباس يجديد \*\*\* أنت انصر ايارن

لقد توفي أبوه وتركه \*\*\* وهو ابن ستة شهور

تلحق ماماس يقيمد \*\*\* ادليتيتم انصر ييلان

ولحقت أمه بربرها وبقي \*\*\* وهو ابن ست سنين

\*\*\*

باتا برفد تلقيس \*\*\* أس مكة اسوفغنت إيمشركن

المجاورة. فأتنصت لنشيد المولد في أصوات رخيمة. وتصفيق بيع. ثم أفضى وقتا طويلا وأنا منتش بنشيد المولد لجميل! يا تلك عودي! انها أغاريد تنبع من القلوب المؤمنة قبل الحناجر. لذلك كان لها ذلك التأثير البليغ!

ومن الشعر البربري لموجود إلى اليوم ما هو قديم، وما هو حديث. والمحفوظ عندنا في المغرب من القيم، سيما في المدن. جله شعر إسلامي. ولا أرى ان هناك شعرا في الألسن مما قيل قبل الإسلام أو في صدره.

لا زال الثلث أو أكثر من أهل المغرب يتكلمون البربرية. وترى اللغة البربرية تتسع لدروسهم الدينية. والاجتماعية. والعلمية. ولا تضيق عنها. وترى أسماهم بها. وأفاصيصهم للكبار والصغار بالبربرية. وترى شعرهم ينشئون في المناسبات أيضا. وأنا أورد ثلاثة أبيات من قصيدة غزلية قديمة أنشأتها امرأة في زوجها تعاتبه وتشكو عذبتها بحبه. واختتم لفصل بنشيد المولد بالبربرية الميزابية. وهو من الأناشيد التي تهزج به المدن الميزابية في عيد المولد. وقد انشأ هذا النشيد الأستاذ الأديب صالح باجو. انه حديث وليس قديما. وترى فيه القافية. والتشبيه. وكل ما يزخر به الشعر العربي من فنون جمال. وقد ترجمته بالعربية ترجمة بسيطة مراعى إبراز المعنى أكثر من التهاويل الشعرية في الأصل.

قالت امرأة بربرية تعاتب زوجها على الهجر وتصف نار حبها:

أغا أيا ارناو \*\*\* اتخاج عاش دا النيتيك!

أولا اشسودسغ \*\*\* جاج نوحولي انوول!

أتمسي تاحلالت \*\*\* إيمان نوضيل!

المعنى:

أيها الحبيب الذي هجرني \*\*\* سينتقم لله منك لوفائي وحبتي!

كأنني لم أسكنك في أعماق فؤادي \*\*\* ولم اخلص لك الواد والمحبة!

يا حبيبي الذي يكويني بنار الحب المقدسة!

أيها الحبيب الذي رآه صهباء روعي!

ما اشد الصعوبات التي لقيها المسكين! \*\*\* من مكة وطنه أخرجته المشركون!

عجال الذين انرييس \*\*\* ييوض آدياغ سيضاغن

من اجل دين ربه \*\*\* ضرب وادمي بالأحجار

غارن سنسن نير \*\*\* ننينغ سيماونسن

سعى المشركون ان يطفئوا \*\*\* نور نبينا بأفواههم

أوين استسمين انلجير \*\*\* يرين ربي فوافرنسن

نجا بالحسد كالجير \*\*\* فكادوه فكبههم الله على مناخرهم

\*\*\*

يوساسند سالعجزات \*\*\* انان ووني ا سحار

قد جاءهم بالعجزات \*\*\* فقالوا هذا ساحر كذاب

لكن سصبر دالتبات \*\*\* ادليقين يرنا الكفار

لكن بالصبر والثبات \*\*\* وباليقين هزم الكفار

سلمعجزاتس أمان \*\*\* زرفند اسجار ايضوضان

من معجزاته عليه السلام \*\*\* تفجر الماء من بين أصابعه

تازيري تشق ايجدنن \*\*\* اتوزون افسن ايورين

ومن معجزاته انشقاق القمر \*\*\* فرأوه نصفين على كل من الجبلين شق منه

يوزناجد غرنغ أجليد \*\*\* أمقران نيجلدان

لقد أرسلك إلينا إلهنا \*\*\* ملك الملوك الأكبر

توسيدانغد ستوحيد \*\*\* تيويدانغد القرآن

جئت لنا بالتوحيد \*\*\* واتيت لنا بالقرآن

يوسد سدين ان الإسلام \*\*\* انتجنويت ايجدلاون

جاءنا بالدين الإسلامي \*\*\* كالطير لاحوا النخل العطشي

شق أوليك تاتفد ما دام \*\*\* شتشي تناست اوولاون

افتح قلبي واستقر فيه يا رسول الله \*\*\* فأنت مفتاح القلوب المؤمنة

\*\*\*

اميدن باتا دامو \*\*\* نلا جُمض افوبريد

اميدن باتا الهمو \*\*\* تيشليو ولتصويود

أيها الناس ما هذه السيرة السيئة \*\*\* لقد ضللنا أيها الناس عن الطريق

أيها الناس ما هذه الأعمال التي تملأ القلب هما! \*\*\* ان سيرتنا لا تخمد عقبها!

غفلت بسى فدونيت \*\*\* تبدلتم ايضت النيت

باتا تخسسم الجنة \*\*\* إيجورتاس امع اتنيت

ازهدوا قليلا في الدنيا \*\*\* وخذوا في الطريق المستقيم

إذا أردتم الجنة \*\*\* فابتغوها من سبلها المعروفة

\*\*\*

الحج يتواتا الفرس \*\*\* اتزاليت غيني انسيباس

أزومي اتواشاس الجدس \*\*\* نلحفاس ما ماس اباباس

الحج قد نسي فرضه \*\*\* والصلاة كدنا نتركها

ورمان قد أكلناه \*\*\* وتعددين على حرمانه!

نقرب انعاد انوبازيض \*\*\* اعوعش بلا تزاليت

لفايد انتزدايت أوتشبيض \*\*\* أدو ينيو أولوجي نيزيت

كدنا نكون كالديك \*\*\* يصيح في أوقات الصلاة ولا يصلي

ان حقيقة الدين هو العمل به \*\*\* كما ان فائدة النخلة في ثمره لا في سعفها<sup>17</sup>

\*\*\*

أرسول أنربي اقل \*\*\* تفورجد غلحالتنغ

17 - يريد ن لدين قول وعمل. وأما القول وحده فلا يجدى.

الوقت بعداش أيبدل \*\*\* سينسيب يدينغ

يا رسول الله التفت \*\*\* وانظر إلى حالتنا السيئة

الزمان قد تبدل بعدك وشقيننا \*\*\* وصرنا في التعاسة لأننا لم نتمسك بديننا

أرسول أنربي اولنغ \*\*\* فديننتش يلا يدبر

داوا اتشفعد دجنغ \*\*\* آس غاشمنلافا المحشر

يا رسول الله ان قلوبنا \*\*\* ق مرضت وأدبرت عن دينك

داو قلوبنا وأملأها بنورك \*\*\* واشفع فينا يوم نلقاك في المحشر يا رسول الله

ان اللغة البربرية لغة واسعة خصبة. يوج فيها كل ما في العربية من أساليب التعبير كالتشبيه والاستعارة: الكناية، والمجاز المرسل، وغيرها؛ وهي لغة سلسلة جميلة تتسع للخطابة والوعظ والإرشاد. ولكنها لا تتسع للتأليف كالعربية. ولا تارع العربية في غزارة المادة. وفي البلاغة ورونق التعبير. أننا إذا بينا خصائص اللغة البربرية فلا يجوز ان يفهم القارئ أننا ندعوا إلى الكتابة به كما دعى الشعوبيون الذين يريدون القضاء على الإسلام بإلقاء على اللغة العربية المقدسة. انها لعمرك أساس ديننا. وتاجنا الذي نباهى به. وسيفنا البتار الذي سنبعج به كل القلوب التي تكيد للدين والعربية في بلادنا. وتعو إلى القوميات الضيقة الهزيلة. وتناوئ الجامعة الإسلامية وتعمل للقضاء عليها.

العربية هي لغة العلم والأدب والخطابة. وهي لغتنا الشريفة التي يجب ان ننشرها بكل الوسائل ونبناها في أنحاء مغربنا كله بكل الأسباب. ليتكلم بها ويكتب بها في طلاقة كل فر في المغرب. ومع هذا لا يجوز القضاء عللا اللغة البربرية فإنها لا تزاخم العربية ولا تناوئها. انها لغة أجدادنا. ومن آثار أبائنا التي يجب المحافظة عليها. يجب دراستها في كتب التاريخ. وبيان خصائصها. فان لغة الأمة هي مظهرها الصدق. وعنوانها الذي ينبئك بحقيقتها. فإذا أدت ان تعرف شخصية امة فانظر إلى لغتها. فعلى حسبها في الرقي يكون رقي الأمة. لهذا وقفنا في اللغة البربرية وقفة لأنها مظهر لشخصية أجدادنا الأمازيغ. وعنوان ينئ بعظمتهم. وبالذرا المنيعه التي احتلوها في مختلف العصور.

وفي اللغة البربرية ما في العربية من اشتقاق ومجاز. وغيرها من المزايا التي تتسم بها اللغة وتغزر مادتها. وإذا كان ما يوجد في العربية اليوم من لأساليب الكثيرة الرائعة.

وفنون الجمال. نجد صولها كلها في لغة العرب الأولين قبل ان يتحضروا. كذلك اللغة البربرية. فما وصلت إليه من الازدهار والرقي في أحسن عهودها في الدولة الرستمية. وفي الدولة الصنهاجية. والدولة الحمادية. وفي دولة المرابطين. ودولة الموحدين. ودولة الحفصيين. ودولة بني مرين. ودولة بني زيان: ما وصلت إليه اللغة البربرية في عهود هذه الدول المغربية من رقى وازدهار وأساليب راقية. فأصول ذلك الازدهار وتلك الأساليب مدجودة في لغة البربر الأولين. واللغة كالإنسان. وكالنبته. وكل شيء ناشئ. لا يبلغ الكمال إلا إذا كان في أوله على القوة.

لقد اتسعت اللغة البربرية لما خرج البربر من حياتهم البسيطة. وتحضروا أيام الدولة البونيقية. وفي عهود دولهم الزاهرة في القرون الثلاثة قبل ميلاد المسيح عليه السلام. لقد اتسعت بالوضع والاقتباس من الأمم التي عاشرتهم كالفينيقيين. والإغريق. والرومان. والوندال. واقتبسوا ألفاظا من الجماعات الفارسية التي اندمجت فيهم. ومن المصريين الذين جاءوا إليهم. ومن الاسرائيليين. وغيرهم. ولكن هذه الألفاظ المقتبسة لم تبق على هيأتها الأولى. بل صاغه البربر على قواعد لغتهم وهضموا. وركبوا تركيبا جيدا ينسجم بلغتهم فتبريرت فصارت جزءا من البربرية لا ينتبه إليها إلا من عرف الأصل. ولاحظ ملاحظة دقيقة الكلمة التي وقعت ببربرتها.

ان عملية بربرة الكلمات عند البربر سهلة. أنهم إذا أرادوا ان يبربروا كلمة مقتبسة زادوا لها ناء مفتوحة في أولها وتاء ساكنة في آخرها. إذا بربروا الدرقالوا (تدارت) والحانوت (حَنوت) وقد يكتفون بزيادة التاء في آخر الكلمة الغابة فانا في البربرية (الغابت) والجنة (الجننت). وقد يكتفون بزيادة أل في أول الكلمة.

وفي بربرة الكلمات قد يقلبون المؤنث مذكرا والمذكر مؤنثا. والأول كالجنة في العربية فإنها في البربرية مذكر يقولون (الحنى) وكالدار فانه مذكر في العربية مؤنث في البربرية : والبربر لهم مقاييس دقيقة في لغتهم. لذلك جهم يوقعون هذا القلب في المذكر غير الحقيقي. وفي المؤنث الحقيقي. وقد يبقى اللفظ الدخيل في البربرية على صيغته فيكتفون في بربرته باللحجة البربرية التي يصبغونه بها عن النطق. فيقولون (توموبيل) للسيارة (البابور) للباخرة.

### تعدد اللهجات البربرية

وقد وقع في اللغة البربرية ما وقع في لعربية من كثرة اللهجات. فلكل شعب من شعوب البربر لهجة. فلصنهاجة لهجة. ولزناتة لهجة. ولكتامة لهجة. ولنفسوة

لهجة. وكذلك بقية الشعوب الأخرى. وجد التقارب بين لهجاتهم على حسب قرب المنازل وكثرة الاختلاط. والفرق بين اللهجات البربرية كان اقل من الفرق بين لهجة قحطان ولهجة عدنان في الجزيرة العربية لان تاريخ البربر واحد. والعوامل التي تؤثر في اللغة كانت واحدة عند البربر.

وكان اغلب الاختلاف بين البربر في اللغة يقع في النطق وفي زيادة بع الحروف أم أصل الكلمات قفي الأغلب فواحدة. وكان البربر يفهم بعضهم بعضا وان التزم كل منهم لهجته كما نرى اليوم في الجزائر. الميزابي يفهم القبائلي والشاوي. وكذلك القبائلي والشاوي يفهم كل منهما لهجة الآخر ويفهمان الميزابي .

تلك هي لغة البربر وهي أساس شخصيتهم الأكبر. وقد أحبوها. واعتدوا بها. وتمسكوا بها تمسكهم بدينهم. وبكل ما هو مقدس لديهم. فترقت وصارت مثلهم على الرقى تنبأ الذري في عهد دولهم العظيمة قبل الإسلام. وفي دولهم الإسلامية التي توالى واستمرت قرونا عديدة متوالية. وقد أثرتنا ان نتحدث عن البربرية في مختلف العصور ولم نقتصر على حالها أيام بداوة البربر كما فعلنا في الأمور الأخرى التي تبين شخصية البربر وحقيقتهم.

وكان للبربر خط خاص بهم. يكتبون به لغتهم. فكيف هو؟ وما أصله؟ وكم عدد حروفه؟ وما درجته في الاتساع والرقى. وفي الحسن والجمال؟

حروف مفردة	نقطتها	حروف مركبة
⊖	⊖	بَيْتْ
⊕	⊕	يَزْتْ
⊗	⊗	يَرْتْ
⊘	⊘	يَسْتْ
⊙	⊙	يَقْتْ
⊚	⊚	يَجْتْ
⊛	⊛	يَلْتْ
⊜	⊜	يَهْتْ
⊝	⊝	يَهْتْ
⊞	⊞	يَهْتْ
⊟	⊟	يَهْتْ
⊠	⊠	يَهْتْ
⊡	⊡	يَهْتْ
⊢	⊢	يَهْتْ
⊣	⊣	يَهْتْ
⊤	⊤	يَهْتْ
⊥	⊥	يَهْتْ
⊦	⊦	يَهْتْ
⊧	⊧	يَهْتْ
⊨	⊨	يَهْتْ
⊩	⊩	يَهْتْ
⊪	⊪	يَهْتْ
⊫	⊫	يَهْتْ
⊬	⊬	يَهْتْ
⊭	⊭	يَهْتْ
⊮	⊮	يَهْتْ
⊯	⊯	يَهْتْ
⊰	⊰	يَهْتْ
⊱	⊱	يَهْتْ
⊲	⊲	يَهْتْ
⊳	⊳	يَهْتْ
⊴	⊴	يَهْتْ
⊵	⊵	يَهْتْ
⊶	⊶	يَهْتْ
⊷	⊷	يَهْتْ
⊸	⊸	يَهْتْ
⊹	⊹	يَهْتْ
⊺	⊺	يَهْتْ
⊻	⊻	يَهْتْ
⊼	⊼	يَهْتْ
⊽	⊽	يَهْتْ
⊾	⊾	يَهْتْ
⊿	⊿	يَهْتْ

الحروف البربرية ونطقها بالعربية

لقد استغنينا بالنطق عن رسم الحرف العربي أمام كل حرف بربري. فيب كما ينطق به البربر اليوم هو حرف الباء ... الخ.



### خط البربر

كان للبربر خط خاص بهم يكتبون به لغتهم وأرى انه من وضعهم. ويمكن ان يكونوا قد اقتبسوا بعض حروفه من المصريين الذين كانوا يختلطون بهم. ويحلون في بلادهم المصرية للتجارة أو للاحتلال. فكل الأمتين المصريين القدماء والبربر من أصل واحد. فبينهما علاقة القرابة بالدماء. وبين لغتيهما تشابه. فكلاهم لغة حامية. فلا عجب إذا حكمنا بان البربر قد اقتبسوا بعض الحروف من المصريين. ان مجاورة مصر للمغرب تسوغ لنا هذا الحكم. وعلاقة الأمتين الوثيقة المستمرة لتوحى به إلينا.

وكانت الحروف البربرية في أول الأمر أيام بداوتهم وبساطتهم قبل ان يتحضروا قليلة لا تتجاوز عشرة حروف. ثم زادوا فيها. فوضعوا لكل حرف ما ينطقون به. ويستعملونه في الكلام علامة تدل عليه. فبلغ عد حروفهم ثلاثة وعشرين حرفا. ولكل حرف من الحروف العربية حرف يماثله من حروف البربر. ما عدا العين والحروف المعجمة: الثاء. والذال. والظاد. ان البربر لا يعجمون حروفهم في النطق كالعرب. أما العين فإنها تكتب غنيا في البربرية. ان العين حرف مشترك. فتارة يريدون به حقيقته. وتارة يريدون به العين. والمقام هو الذي يدل على المراد. أنهم يكتبون عين عائشة غينا ويقرؤونه عينا. ولقلة ورود العين في الكلمات البربرية لم يضعوا له حرفا. ولما جاؤوا الفينيقيين والعرب. وبربروا كثيرا من الكلمات الفينيقية والعربية التي فيها عين. فكثرت العين في لغتهم فاحتاجوا إلى كتابته. كتبوه غينا.

ان استعمال البربر في دولهم القديمة قبل الميلاد للغة البونيقية والخط البونيقى في دواوينهم. وهي لغة مزيج من اللغة البربرية والفينيقية. تشتمل على خصائصهما جميعا. واستعمالهم في دولهم الإسلامية للغة العربية العربي في الدواوين وفي التأليف والمراسلة. جعلهم يزهدون في وضع علامة للعين التي كثرت في كلامهم. من يرى لعلهم قد اقتبسوا من الفينيقيين حرف العين فزادوه في كتابتهم. ان كتابة الطوارق الآن في الصحراء الكبرى وهم حفظوا لنا الخط البربري باستعمالهم له إلى الآن لا نجد فيها حرف العين. فلو اقتبس البربر القدماء حرف العين من الفينيقية لوجدناه في كتابتهم. سيما وقد اختلط هؤلاء الطوارق بالعرب منذ الفتح الإسلامي. وانتشرت في لغتهم الكلمات العربية والأسماء العربية التي فيها عين. انه لا يمكن ان يهملوا حرفه وهو موجود في نطقهم وفي لغتهم التي يكتبون بها رسائلهم وعقودهم.

ان الحروف البربرية تنقص عن الحروف العربية بأربعة حروف فقط. ثلاثة منها حروف

م	٣	١٤	٤
ن	٦	ب	٩
س	≠	ج	٧
ع	٥	د	٥
ف	٦	هـ	٣
ص	٣	و	٢
ق	٩	ز	١
ر	٩	ح	⊕
ش	٣	ط	⊕
ت	+	ي	٢
ث	×	ك	٣
ف	٦	ل	٦

الحروف الفينيقية ومثلها بالعربية

معجمة وهي حروف فرعية وليست أصلية. وهذا دليل على انها لغة غنية واسعة. على ان البربر قد تحضروا فاعتنوا بلغتهم وبخطها فأتسعت وترقت فصارت تكفي مجتمعاتهم الراقية في التعبير والإفصاح. وأتسعت لمعانيهم التي تمور بها عقولهم الراقية المثقفة بالمدينة البونيقية والعلوم البونيقية التي ورثوها. وبعلم الإغريق الذين جاؤوا البربر قرونا كثيرة في المغرب. وقد اعتنى الملك مصينيسا بالخط البربري في القرن الثاني ق.م. فرقاه وزاد في حروفه فصار على النحو الذي جُده اليوم.

### اعتداد البربر بحروفهم وتقديسهم لها

وكان البربر معتدين بخطهم كل الاعتداد. وكانوا في أول أمرهم. وأيام بساطتهم قبل ان يتحضروا وتشبع الثقافة فيهم يعتقدون ان هذه الحروف التي يكتبون بها منزلة من عند الله. زانها من خلق الله لا من وضع البشر. وكانوا يسمون حروفهم (تيفيناغ) ومعناه الحروف المنزلة من عند الله. وذلك لتقديسهم لها واعتدادهم بها. وكان من يحسن الكتابة فيهم يجلونه ويحترمونه ويعجبون به. وكانوا في تلك العهود البسيطة لا يحسن الكتابة فيهم إلا صفوة الخاصة. ثم شاعت الثقافة فيهم. وكثر عدد من يكتب خطهم ويقرؤه في طبقاتهم.

### تأثير الخطين البربري والفينيقي بعضهما ببعض

وكان تأثير البربر بالفينيقيين الذين حلوا في قرطاجنة وأنشأوا فيها دولتهم العظمى كبيرا. وقد اقتبسوا منهم كثيرا من العادات. وتأثروا بهم في كل نواحيهم. كما تأثر الفينيقيون بالبربر. وإذا كان اعتداد البربر بخطهم كما ذكرنا فلا بد ان يرقوه ويتمموه ويحسنوا حروفه. ويزيدوا في عددها باقتباس بعض الحروف لفينيقية ان لم يكن لدلوله في لفينيقية كحرف التاء في الفينيقية إذا جعل رسما للتاء في البربرية. فلغيره من الحروف الأخرى. ان تأثر الخطين البربري والفينيقي والعكس. ما نشاهده في تشابه بعض الحروف في الخطين. وان اختلف مدلولها. وقد لا يكون لبعض حروف البربر رسم يدل عليها. أولها رسم مشترك بينها وبين غيرها فيقبسون من الحروف لفينيقية حرفا يكون رسما له. ويصبح بالاصطلاح دالا على ذلك الحرف عندهم. ينطقونه كلما رسم في الكتابة. ويمكن ان يكون الفينيقيون قد اخذوا بعض حروف البربر لكتابتهم. ان التشابه والتماثل أحيانا بين بعض الحروف البربرية. والحروف الفينيقية لا يمكن ان يكون بالمصادفة بل بتأثر كل منهما بالأخر.

أننا إذا لاحظنا الخطين وجدنا حرف التاء في الخطين البربري والفينيقي واحدا. وباء

البربرية هي الحاء الفينيقية. ووجدنا الدال في الخطين متشابهين. ووجدنا حرف لزاي في خط البربر هي حرف الواو في الخط الفينيقي. بينهما شبه كبير. وحرف الجيم البربري هو حرف الزاي الفينيقي. والباء في البربرية هي حرف الحاء في الفينيقية. كما جُده الياء البربرية تشبه الياء الفينيقية. ان هذا كان لتأثر كل من الخطين بالأخر. وفي حروف المسند القديمة لأهل شمال الجزيرة العربية في فلسطين والشام والعراق ما يشبه حروف البربر. فالزاي البربرية هي الزاي في المسند. وكذلك الباء. والتاء<sup>18</sup> وارى ان البربر اخذوا هذه الحروف من وطنهم الأول فلسطين.

وقد اقتبس الرومان من البربر حرف الباء. في الرومانية كما هي في الكتابة البربرية. ان فضل البونيقيين والبربر. وهما اللذان ورث الرومان حضارتهم وثقافتهم في المغرب. ان فضلها على الرومان لا يحصى.

وللكتابة البربرية أيام طفولتها لما كانت عشر حروف خمسة أشكال. وهي عبارة عن نقط ترسم مع بعض الحروف لتأكيدا أو شكلها. وق زالت هذه الأشكال الخمسة لما اتسع الخط وكثرت حروفه. من يري لعل بعض النقط التي هي رسم لبعض حروف البربر هي عض تلك الأشكال صيرت حروفا. أننا لا نجد في خط الطوارق الذي لا يزال تلك الأشكال التي ذكرها الشيخ مبارك ألميلي في تاريخه ورسمه.<sup>19</sup>

### الحروف البربرية المركبة

وللبربر حروف مركبة هي عبارة عن حرفين متداخلين. فينطق الحرف المركب حرفين. والحرف الأصلي الذي يقحم فيه الثاني. ويبدأ بنطقه أولا إنما هو الذي يرسم في وسطه. والحرف المرسوم في الوسط ينطق بعد الأول. تراهم يرسمون حرف الباء فيرسمون تاء في وسطه فيكون حرفا مركبا. وهذا الرسم يقرأ بت. والحرف المرسوم غالبا في الوسط هو التاء لكثرة ورودها في البربرية فهي أكثر الحروف استعمالا في لبربرية. فرسموها في وسط الحرف الذي تليه اختصارا للكتابة. وارى ان هذا التركيب في الحروف ما اختص به البربر. وكانوا أول من اهتدى إليه. ولعلها من إصلاحات مصينيسا الملك البربري العظيم التي ادخلها على الخط البربري في لقرن الثاني قبل الميلاد.

والبربر في القديم لا يلتزمون اجأها واحدا في كتابتهم كما تلتزم العربية من اليمين إلى اليسار. بل تراهم يكتبون من اليمين حتى إذا انتهى السطر كتبوا تحته سطرا آخر

18 - انظر حروف المسند في كتاب الوسيط في الأدب العربي لأحمد الاسكندري ص 28 ط أولى بالقاهرة 1919.

19 - انظر تلك الأشكال في ج 1 ص 86 ط ثانية بيروت

## دين البربر

كان للبربر دين وثني جاءوا به من الشرق. كانوا يعتقدون وجود اله يدبر هذا الكون، ولكن لا ذات له ترى، وإنما يتجلى لهم في المظاهر التي تروعونهم بقوتها، أو بجمالها، لو بغرابته، فلذلك يعبدون تلك الظاهرة. وهذا الإله الذي يعتقدون أنه مصدر حياة الكون اسمه (أمون) ومظاهره هي الكباش الأقرن القوي، وبعض الحيوانات الأخرى، وبعض الكواكب. فمن الكواكب التي راعتهم بقوتها وجمالها ورأوا أنها مصدر الحياة لهم الشمس والقمر. وكانوا يقدسونهم، ويتخذون لهما التماثيل في هياكلهم، ويرمزون لهما بصور في أملكعبدتهم. وكانوا يرمزون للشمس بدائرة وفد يجعلونها بين قرني الكباش (أمون) الذي يقيمون له التماثيل كأكبر مظهر لإلههم أمون.

وكانوا يعبدون من الحيوانات الثور والكبش والتيس يقدسونه و يقيمون لها التماثيل التي يخشعون أمامها، ويقربون القرابين لها فلربما جمعوا في تمثال واحد بين شيتين من معبوداتهم التي يقدسونها. وق عثر في الجنوب الغربي للجزائريين فقيق وبني ونيف على تمثال لكباش أقرن بين قرنيه دائرة تمثل الشمس. والكبش والشمس كلاهما من معبودات البربر التي يرونها مظهرا للإله الأعظم الذي يصرف هذا الكون.

وكان المصريون القدماء يعبدون الإله أمون ويرمزون له بكبش أقرن. وارى ان لمصريين قد قلدوا في هذه العبادة بني عمومتهم لبربر. ويمكن ان يكون البربر هم الذين أخذوها من المصريين.

وكان البربر يرون مظهرا للإله كل الحيوانات التي تروعونهم بجمالها أو بغرابتها. فمن حيوانات الجميلة التي قدسوها الطاووس، والحمامة، والهر للطفه وظرافته، ومن الحيوانات التي قدسوها لغرابتها السلحفاة والضفدع. وكان تقديسهم لها يتجلى في عدم إيدائها كما يؤذون الحيوانات الأخرى بالقتل أو بالذبح، أو بالإقصاء العنيف عن الساحة بالضرب والإيذاء. وكانوا يعتقدون ان قتلها أو ضربها يلحق بهم أضرار كثيرة وعاهات كبرى كالجنون، والشلل، والصرع وغيرها.

لا تزال عقيدة حرم صيد الحمام باقية في أنحاء كثيرة من المغرب، وكذلك كره ضرب القط. انم يعتقدون ان من ضرب القط سيما في الليل يصاب بالجنون. وكذلك الضفدع لا تزال أنحاء م المغرب تعتقد ان قتله مضر وان افسد الساحة وعكر المياه. ان هذه كلها من بقايا العقائد البربرية القيمة قد تزيى بعضها بزى الإسلام

مبتدئا من اليسار فيختتم في اليمين، فيبدأون السطر الثالث من اليمين إلى ان تتم الكتابة، وترك في قراءتها كمن ينزل من سلم دار عالية متصل يدور بك في طبقات الدار. وقد تأثر البربر بالعرب وبالكتابة العربية التي تعلموها، فصاروا يلتزمون اتجاه واحد في الكتابة هو الاتجاه العربي من اليمين إلى اليسار.

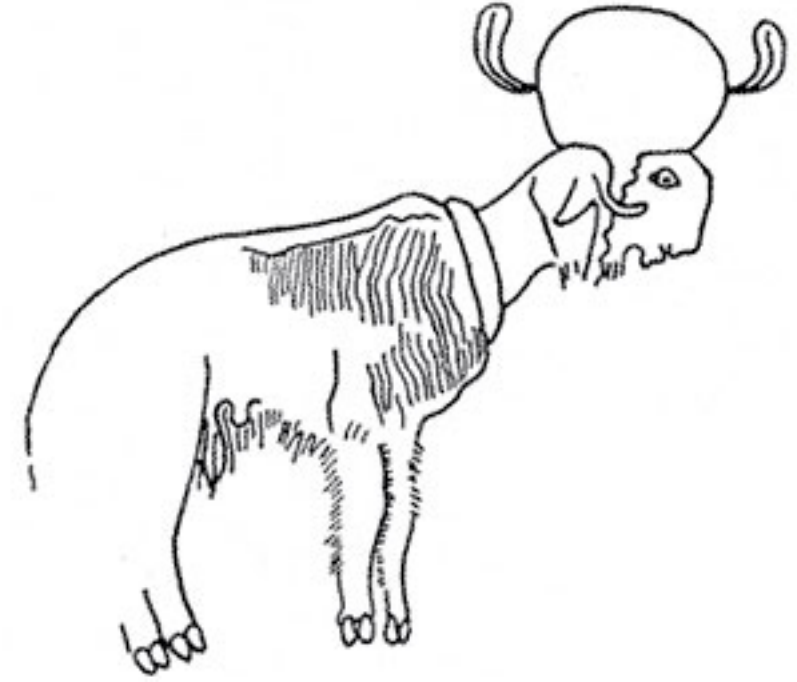
وقد أعجب البربر بالخط العربي فأخذوا به لغتهم فصار هو خطهم، فتكتمش الخط البربري فلم يبق إلا في بعض زوايا المغرب، ومنها الصحراء الكبرى التي لا زال محفوظا فيها عند الطوارق المثلثين. يكتبون به رسائلهم، ويستعملونه فيما بينهم، ويكتب به رؤسائهم وأمرؤهم. وقد احتفظ المثلثون بخطهم في أعماق الصحراء للسرية التي يحرصون عليها في كل أمورهم. انه خط غريب لا يعرفه سواهم فأثروه لكي لا يعرف أسرارهم غيرهم. هذا إلى تمسك البربر بشخصيتهم، والخط كاللغة من الأشياء الأثيرة في شخصية الأمة وتقاليدها.

وترى في صحراء الطوارق اليوم اللغات الثلاثة البربرية والعربية والفرنسية يحسنها المنقضون منهم ويكتمون خطوطها كلها. وقد أرسل إلي صديق في بلاد الطوارق وهو الكاتب الخاص والمترجم من الفرنسية إلى البربرية لأحد ملوكهم الكبار: أرسل إلى الخط البربري المستعمل لى اليوم عندهم. وفيه الحروف المفردة والمركبة كما هي في المراجع الفرنسية والعربية التي نقلنا منها حروف البربر.

كان البربر امة عظيمة وشعبا راقيا. لهم لغتهم الخاصة وكتابتهم الخاصة. فكيف كان دينهم في عهود البداوة قبل ان يتحضروا، وكيف كان بعد تحضرهم أيام البونيقيين. ان الدين اكبر أساس للشخصية! والبربر من اشد الأمم تمسكا بالدين وغيره عليه! وقد افلحوا بهذا وسادوا لما صار الإسلام دينهم فتمسكوا به، وفدوه بالنفيس الغالي، وبالأرواح والدماء!!

نواحيهم كجبال أوراس. ولما جاء الإسلام أدركوا بعقولهم انه خير الأديان هو لا غيره سبب الحياة السعيدة الراقية. وعامل الفوز في الدارين. فأمنوا به وعضوا عليه بالنواجذ. وكانوا كثير المسلمين تمسكا به قولا وعملا. وأشدهم عليه. وكان هو الدين الذي عم البربر كلهم فطهرهم من ارجاس الوثنية ومن ظلمات الجاهلية. وأسبغ عليهم الطهر والسمو والنور. وأورثهم الكرامة والعزة. والسعادة والتقدم في كل نواحي الحياة. فما أعظم نعمتك يا رب بالإسلام على أجدادنا الأمازيغ وعلى مغربنا الكبير.

ذلك هو دين البربر في جاهليتهم. وأيام بداوتهم قبل ان يتحضروا فما هو نظامهم الاجتماعي في تلك العهود؟



تمثال للكبش المقدس أمون

ان الرفق بالحيوان وعدم إيذائه والإحسان إليه واجب في الإسلام. ولكن اعتقاد النفع والضرب في احدها لقداسته بما لا يجوز في الدين . وما هو من بقايا الجاهلية البربرية التي نتحدث عنها.

وكان البربر يعتقدون وجود الجن. ويرونها أرواحا تسكن المغاور وبعض الأشجار وفي بعض المنابع المعدنية. وكانوا يرون المياه المعنية الحارة التي تتدفق من بعض الجبال. فلا يدركون بعقولهم سبب حرارتها. فيعللون ذلك بوجود الجن في اخل الجبل. فهم الذين يوقون النار على الماء فيتفجر حارا تلك الحرارة. وتراهم يقدسون تلك الأماكن التي يرونها مسكنا للجن ويقربون إليها القرابين.

وق بقي البربر على هذه الوثنية التي جاءوا بأكثرها من المشرق حتى ترقوا وتمدنوا وثقفت عقولهم في عهد البونيقيين فنبذوا كثيرا من خرافاتهم. وقد انتشرت المسيحية في البربر لما دخلت المغرب. واركوا بعقولهم المثقفة انها الدين السماوي الذي يصلح بهم. فاعتنقته طوائف كبيرة منهم. وكذلك اليهودية فإنها انتشرت في بع

## النظام الاجتماعي للبربر

لم يكن للبربر قديما قبل ان يتحضروا ملوك ولا أمراء عظماء تخض لهم الجهات الواسعة ويسوس كل منهم القوم الكثيرين، وإنما كانت كل قرية تحكم نفسه، وكل قبيلة تبر شؤونها، لا ترضى ان يتخلل في أمورها غيرها.

وكان لكل قرية مجلس تنتخبه القرية انتخابا حرا، وتقدم إليه كل من قدمته كفايته وبدا صلاحه، ورجاحة عقله وإخلاصه للقرية.

وإذا كانت القرية تشتمل على قبائل كثيرة قمت كل قبيلة من يمثلها في المجلس، ويرأس المجلس رئيس ينتخبه المجلس انتخابا حرا من أعضائه، ويشترطون فيه الكفاءة العقلية والخلقية والغيرة على القرية، والإخلاص لأهلها وعدم الأنانية والحباية.

ان هذا المجلس هو الذي يدبر أمور القرية، ويسن القوانين لها، ويفض خصوماتها، ويعلن الحرب، ويعقد المعاهدات، انه هو المجلس التشريعي والقضائي، وهو الحكومة المدبرة لشؤون القرية، ورئيس المجلس هو القوة التنفيذية التي تنفذ ما يسنه المجلس من قوانين، ويحكم به في الخصومات، أما القوة التي يتأيد بها رئيس المجلس في تطبيق القوانين، وتنفيذ قرارات مجلس القرية فهي القرية كلها، المجلس مجلسهم، انتخبوا في حرية تامة، ورئيسه رئيسهم فكلهم يجله ويحترمه، ويؤيده، ويغار عليه، فإذا احتاج إلى قوة رادعة فشباب القرية كلهم يلبسون السلاح، فيصيرون جنه المطاع، والقرية كلها برجالها ونسائها تغضب لغضبه، فتقف في صفه، وتكون حربا على من تورد عليه، أو اعتدى على مقامه، وأبى ان يخضع اعرف القرية وقوانينها.

ان هذا النظام لاجتماعي يدل على ديمقراطية البربر وعلى حبهم للحرية، وعلى اعتمادهم على النفس؛ ويدل أيضا على أمنهم في قراهم، وعلى بساطة الحياة التي كانوا عليها في عهودهم القيمة قبل البونيقيين.

وكان لكل قبيلة في كل قرية رئيس يعتني بها، ويحل مشاكلها، يعضده في ذلك خاصة قبيلة وأولوا الرأي والتدبير فيها، وذلك لاعتماد البربر على أنفسهم، وحبهم للامركزية حتى في نظام القرية الذي وصفنا، وهو ديمقراطي لا جبروت ولا استبداد فيه.

لقد بقي البربر على هذا النظام الاجتماعي قرونا، وكان هو النظام الذي أثروه، وامتزج حبه بدمائهم، ولكنهم لما تحضروا كثرت مشاكلهم الاجتماعية، وصار المغرب بما كونه فيه وكونه فيه البونيقيون من حضارة راقية، جنة تفتن القلوب وتخلب النفوس، وتتحلب

عليها أشداق الرومان الجشعة؛ وراو روما القوية تتخذهم مرمى سهامها، وتتمنى ان يكون المغرب طعمتها؛ احدثوا ومدت كل قرية إلى أختها يدها، والتأمت الجماعات، فكونوا حكومة واحدة تسوسهم، وتدبر شؤونهم ورضوا بنشأة الملوك فيهم، والممالك الواسعة التي يهيمن عليها رئيس واحد.

لقد يد النظام اللامركزية في البربر ما جبلوا عليه من حب الاستقلال، وعشق الحرية، ومن الاعتداد بالنفس، والاعتماد عليها، فكرهوا ان يسوسهم أمير واحد قد يجور عليهم فيعاملهم بما لا يوافق مزاجهم، ويأخذ بأعنتهم إلى نواح ليس فيها صلاحهم.

لقد كان هذا النظام للامركزية سببا لازدهار القرى البربرية، ا كل قرية تعتمد على نفسه في كل شؤونها، وتنافس القرى الأخرى فتنتعش وتزدهر، وكان سببا لخلق لتضحية والروح الاجتماعية في البربر، ان كل فرد منهم ليفكر في قريته، ويعمل لتقييمها، ويقوم بواجبه في خدمتها العامة، وينفق من ماله الخاص، ويضحى بكل عزيز في سبيل إسعاد القرية وهنائها، ولا يتكل في تدبير أمورهم، والقيام بشؤونها وخدمتها على الحكومة فيكون أنانيا بخيلا لا يشغل باله إلا شئونه الخاصة، ولا يهتم إلا أمر نفسه، كما نرى في العواصم الكبرى التي تقوم بها الحكومة، فان الأنانية وحب النفس، وعم المبالاة بالشئون العامة، كإصلاح الطريق أمام دار احدهم إذا خرب، وإصلاح مجرى الشارع إذا انسدت، وغير ذلك مما يعود بالنفع عليه هو، ولكن لا يبدو لسكان العاصمة ان يتطوع بجزء من وقته، وبقليل من عمله فيزيل الأذى من الطريق، وينفع عباد الله بما يؤخره عليه الله.

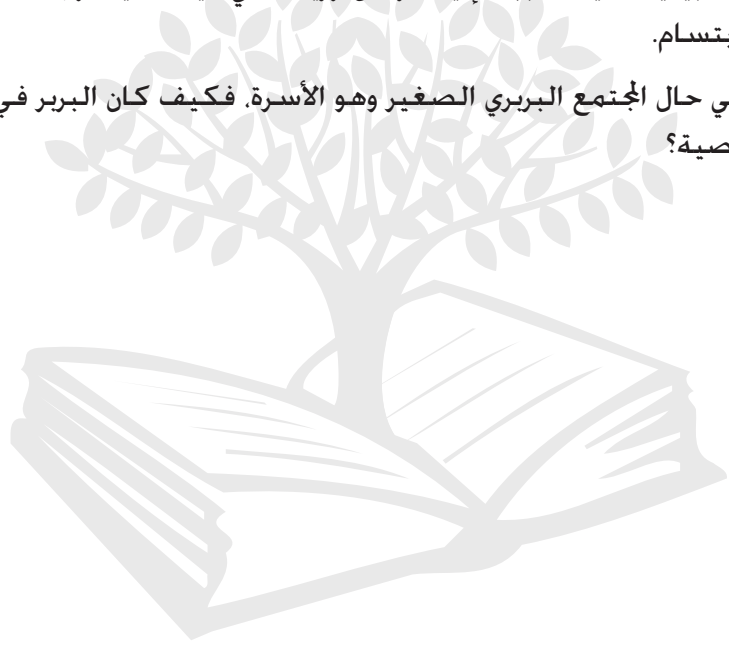
ان نظام اللامركزية وان كان يضعف الدولة في بعض النواحي، فانه يخلق فيها أخلاقا اجتماعية عظيمة، ويجعل كل فرد فيها يقوم بواجبه الاجتماعي، وكل جماعة تؤدي ما عليها لصالح الأمة كلها.

ان ما حمل البربر على نظام القرية أيضا هو أمنهم في وطنهم، لقد كانوا في أول أمرهم في وطن لا يجاوره أعداء يفكرون في اغتصابه، والسيطرة عليه، فيتكتلون ويتحدون ليدافعوا عدوهم، وكانوا على البساطة في كل شيء حتى في مثلهم الأعلى، فلم يكن من همهم ان ينشئوا دولة تنافس دولة الفراعنة وغيرها من الممالك القيمة، ولا كانت حياتهم معقدة بالتحضر والتمدن فنحتاج إلى جهاز إداري واسع لا يتأتى إلا في الدولة الكبرى، بل كان همهم في الضرورات البسيطة التي يكفي لبلوغها هذا النظام الاجتماعي البسيط.

الطبعة في نفوسهم. فعاشت المرأة المغربية مبدلة محترمة مصونة في كل عهدها. وان ما نرى اليوم من تمتع المرأة بكل حقوقها في وادي ميزاب بجنوب الجزائر. وفي غيره من النواحي التي لا زالت تتمسك بشخصيتها الإسلامية المغربية من آثار الذين الحنيف الذي اوجب للمرأة حقوقها. ومن آثار هذه الطبيعة الحسنة التي كان يمتاز بها أجدادنا في المغرب.

ان قوة شخصية المرأة البربرية وتمتعها بحقوقها في المجتمع البربري القديم هو الذي جعلها قاعدة قوية للأسرة. فتماسكت. وجات. وتعاونت. فتمتعت بالحياة. وتمتع الرجل البربري بحياة بيتية هنيئة حبيت إليه الوطن. وزينت في عينه الحياة. وجعلته دائما على التفاؤل والابتسام.

تلك هي حال المجتمع البربري الصغير وهو الأسرة. فكيف كان البربر في الشخص وفي الشخصية؟



قد نجد الأمة تتكتل في بداوتها وتتحد لان أوطانها قفراء لا تكفيها في عيشها. فهي ترنوا إلى الأوطان الأخرى تتحلب أشداقها عليها. فتتحد لتقوى على التغلب عليها. أما البربر فكانوا في وطن خصب جميل فيه كل ما تستلزمه الحياة الهنيئة. يبلغه البربري بأهون سعي. فلذلك جد الروح الاستقلالية قوية ثابتة في البربر. لان العوامل التي تدعو الإنسان إلى الرضوخ للرؤساء. والتجرد من كثير من حريته في سبيل الجماعة الكبيرة لم تكن موجودة في وطن البربر. أنهم في قديمهم لم يرهبوا ولم يرغبوا فيجهزون الجيوش وينشئون رئاسة عليا للوطن كله تقوده في دفاعه أو هجومه.

لقد دام البربر على نظام القرية حتى تخضروا فاستلذمت حياتهم المعقدة جهازا إداريا واسعا. فتكونت لهم ممالك. وكان لهم ملوك. وكان القرطاجنيون الذين اخرجوا البربر من البداوة إلى الحضارة هم الذين اخذوا بأيديهم فنهضوا. واثروا فيهم فترقوا. وكانوا لهم قدوة حسنة فسلكوا طريقهم في إنشاء الدول الكبرى.

ان كل قرية تتكون من عدة اسر. فكيف كانت الأسرة في المجتمع البربري؟

### الأسرة في المجتمع البربري

لقد كانت الأسرة في المجتمع البربري على أمها في التماسك والاحاد. وفي الهناء والسعادة. وكان للأب السلطة العليا في الخارج. وللام السلطة التامة في داخل البيت. وكان الأب محترما جله الأسرة كلها. ويجله أبناؤه لا يتمردون عليه. ولا يشقون عصا الطاعة له. بل يمتثلون أمره. ويسعون في رضاه. ويسبغون عليه برهم وإحسانهم.

### احترام البربر للمرأة وتمتعها بكل حقوقها في مجتمعهم

وكانت المرأة محترمة مبدلة. تتمتع بكل حقوقها في المجتمع البربري. وكان الرجل يراها ساعده الأيمن. وقوته الكبرى. وقبله الذي يصنع حياته كلها فيثق بها. ويجعل أعنة أمور البيت في يدها. وكانت هي معتدة بنفسها. لقوة شخصية البربر. تتمتع بحياة استقلالية في بيتها. ترى نفسها هي المسؤولة عنه فتقوم بواجبها في إدارة البيت وخدمته. وفي تربية الأبناء. وفي إشاعة المحبة والوئام في الأسرة. فتكون كلها قلبا واحدا يضمن لها ولزوجها السعادة والهناء.

وقد بلغ من احترام البربر للمرأة ان كانت بعض القبائل تمج المرأة كل التمجيد. فجعلتها هي الأصل في الأسرة. ورجحت كفتها على الرجل. فصار الولد ينسب إلى أمه. ويتوارث مع أخواله لا مع أعمامه. وقد أم احترام المرأة حتى جاء الإسلام فأيد هذه

## شخصية البربر

## خلقة البربر

ان البربري قوي البنية، معتدل المزاج، متين التركيب، قد نشأ في بيئة الشام الجميلة، فأورثته من جمالها في جسمه، ومن اعتدالها في مزاجه، ثم انتقل إلى بيئة المغرب لمشابهة لبيئة الشام الطبيعية، فأيدت فيه تلك الخلال، وثبتت في شخصية ذلك الجمال، فصار البربر مثالا في متانة البنيان؟ وفي جمال الخلق.

والبربري على العموم ذو وجه معتدل، وعينين غير ناتنتين، وانف غير مفرطح ولا مستطيل، ولكنه رشيق جميل، وجبينه وضاح، وما بين عينيه خط مستو، لا زاوية منفرجة، وأعضاؤه متناسبة، وهو قوي البنية، يتحمل الجهد الشديد، ويطول شوطه في الأعمال المرهقة، قوي الحصانة من الأمراض، لقوة جسمه، ومتانة تركيبه.

أما لون البشرة في البربر فنجد في شمال المغرب على الساحل البياض المشوب بحمرة، أما في رؤوس الجبال الباردة فالحمرة المعتدلة هي الشائعة فيها، وفي جنوب الغرب سمرة معتدلة مع الأعضاء الرشيقة، وهناك بعض المناطق في الجنوب ولكنها قليلة قد اختلطت بسكانها الزنوج فأورثوها من ألوانها ومن أعضائهم، فمالت سميرتهم إلى السواد، وأنوفهم إلى التفرطح، ففارقوا الجمال البربري الممتاز، وهناك أيضا القبائل البدوية المقيمة في الصحراء الكبرى، قد سفعتهم الشمس فأورثتهم السمرة الشديدة، ولكنهم مع ذلك على الرشاقة والجمال، لم تغير من أجسامهم الأعراق الدخيلة، فإذا انتقلوا إلى الشمال فسرعان ما يورثهم ألوانه فيمسون كاهله.

هذه هي أوصاف البربر الجسمية على العموم، ق حُرت إليهم بالوراثة، واكتسبوها من البيئة، وهناك جهات في المغرب نجد ناسها يختصون ببعض أشياء ويخالفون في بعض الأمور كلون الشعر وشكل الجمجمة، وقد ذكر الأستاذ الجليل الشيخ مبارك ألميلي بعض تلك الأوصاف الموجودة في بعض مواطن المغرب فقال: «ومن الأوصاف ما يختص ببعض لفرق، ففرقة منهم طوال القامة، مستطيلا رؤوس والوجوه، وحواجبهم ناتئة، وأنوفهم طوال رفاق، وشعر اللحية منهم حفيف، وأكتافهم عريضة، وخصورهم ضيقة، وهم عاف لبنية، وهذه الفرقة موجودة بكثرة.

ومنهم صنف قصير القامة، طوال الرأس، وبه عظام ناتئة عريض الوجه، ناتئ الوجنتين، عريض الأنف، واسع الفم غليظ الشفتين، ناتئ لحن، كثير شعر اللحية، عريض الصدر والرفع».

ان هذا الصنف هو الذي يمكن ان يكون العرق الزنجي قد اثر فيه، فأورثه فرطحة في الأنوف، وغلظة في الشفاه، وطولا في الجمجمة ولم يذكر الأستاذ ألميلي في أي جهات المغرب يكون، وارى انه في الجنوب الشرقي والغربي للمغرب: تلك النواحي القريبة من السودان فاخل بعضها العرق الزنجي فاثّر فيها، على ان هذا الاختلاط ليس قيما فانه من آثار اتصال الدول الإسلامية المغربية بالسودان في القرون الإسلامية الأولى، ثم قال الأستاذ ألميلي:

«ومنهم صنف ربعة إلى القصر، مستدير الرأس، عريض الوجه، مستدير الجهة، غليظ الحاجبين، قصير الأنف، واسع الفم، مستدير الذقن، عريض الصدر.

والصنفان الأولان معروفان بالمغربي من قديم الأزمنة، وثلاثتها توجد بالجزائر وتونس، والثالث منها مشهور جربة وميزاب».<sup>20</sup>

هذه هي بعض الأوصاف التي تمتاز بها فئات من البربر في بعض الجهات، وارى ان هذا الامتياز في تلك الأوصاف حديث غير قديم، فميزاب قد داخلته الدماء العربية، ووادي اريغ وغيره من أنحاء الجنوب الآخرة قد داخلته الدماء الزنجية، وهذا كله في القرون الإسلامية لا قبلها، انه يبعد ان يكون اختلاف الفئات لبربرية في بع الأوصاف من تلك الدماء التي داخلتها بعد الفتح الإسلامي فورثوا بع خصائص تلك الدماء، أما لون البشرة والشعر والعيون وبعض الأوصاف الأخرى التي ترجع إلى اختلاف الجو في القطر الواحد، فان جو الساحل غير جو الصحراء، وجو الجبال المنيع غير جو السهول المنخفضة، وكذلك لمن فنها خلاف القرى: أما الاختلاف الذي نراه في المغرب من هذا النوع فهو شيء طبيعي سببه إقليم لا عرق.

وكان البربر يلتحون ويرون ذلك زينة لرجل، وعلامة القوة، ودليل الوقار، ورمز الرجولة الكاملة، وآية على الشرف وكرم الأصل!

كان البربر على لعموم على الجمال في الأجسام، والمتانة في البنيان، أورثهم ذلك عرقهم الزكي، وبيئتهم الطبيعية الجميلة، فكيف كانوا في الأخلاق والطباع الراسخة؟

## أخلاق البربر وطباعهم

ان البربر امة قوية الشخصية، معتدة بنفسها كل الاعتداد، واثقة بنفسها كل الوثوق، طموح قد بلغ بها طموحه الذري العالية في المكارم، والقمم الشماء في المفخر.

20 - تاريخ الجزائر ألميلي ج 1 ص 65 ط لبنان 1382 هـ 1663 م.

### تمسك البربر بشخصيتهم وتقاليدهم الحسنة

والبربر ذوو شخصية ايجابية، يفرضون احترامهم على غيرهم، وتقاليدهم على من سواهم، فيقلدهم ولا يقلدون، ويذوب فيهم ولا يذوبون. ومع ذلك فهم مرنون يتطورون؛ يأخذون من كل بيئة أحسن ما فيها، لا تغرهم المظاهر فتخدعهم عن اللباب، ولا تفتنهم الزخارف فينصرفون عن الجوهر، بل لهم من نفسهم العملية أحسن هاد، وأدق ميزان. أنهم لا يأخذون إلا أسباب القوة والنجاح من غيرهم ولا يقتسمون إلا عوامل الرقي من سواهم. لقد تسلط عليهم الرومان وغيرهم دهورا طويلة فلم يذبا فيهم كما تمنوا. لُق أّ البربر منهم أساليب العمل، وفنون القتال وطرق السياسة، ولكنهم لم يتبدلوا تبذلوا بالحضارة المفرطة، ولم ينغمسوا في الشهوات والملذات فتنحل أخلاقهم مثلهم. أنهم تمسكوا بأخلاق الرجولة، وبالنفس العملية، وأبوا ان يتصفوا بضعف الحضارة وأمراضها.

ان تمسك المغرب بشخصيته الإسلامية، وإبائه ان يتجرد منها رغم الاستعمار الفرنسي الذي جرننا قرنا واثنين وثلاثين سنة بسلاسله، لنفارق شخصيتنا إلى شخصيته، ورجولتنا وطابعنا الجدي آلة ميوعته؛ ان ذلك التمسك بالشخصية من ميراث أجدادنا البربر ومن الطبائع الشريفة التي حُدت إلينا من أولئك الأجداد الشرفاء.

### لطف البربر وحبهم للنكتة الطريفة والمرح اللائق

والبربر ذوو نفوس مرحة، يميلون إلى اللهو في أوقاته، ويؤثرون المزاح في أباه لا يستبد بهم الطرب فيطيشون كالزئوج وذوي المناطق الحارة، ولا يجمدون كاهل البلاد لباردة، بل هم كإقليمهم على الاعتدال في الأشياء، فهم على الاعتدال في السرور والطرب والميل إلى المزاح، وعلى الاعتدال في ميلهم إلى الجد، ان نزوع البربر -لنفسهم العملية- إلى الوقار أكثر، ومع ذلك فمجالسهم في أوقات الأّس تشيع فيها العابة البارعة، والمزاح لطريف، لا يضحكون إلا بما يستلزم الضحك، فالوقار يمسخهم عن الإسراع إلى الضحك كما يفعل بعض الأّقام من ذوي المنطق الحارة، يضحكون لأقل شيء، ويصلون النهاية في القهقهة لنكتة ضعيفة لا يزيد البربري بها على الابتسام ! وذلك لان الجنب العملي في البربر على قدر الوجدان فيهم، لا يصغي وجدانهم فيتسلط عليهم، بل هم يضبطون نفوسهم فيكونون في كل موطن كم يوجب المقام.

انه لفضيلة قوة الجانب العملي في نفوس البربر وهو (النزوع) كما يسميه علماء النفس، انه لتلك الفضيلة التي أورثت للبربر مزية ضبط النفس، كانوا على التمسك

انها من الشعوب الكريمة التي تقس المعاني، وتغرم بالمجد، وترى الشرف هو كل شيء في الحياة ! لقد اتصف البربر بكل الأخلاق لكريمة التي اتصف بها العرب، واربوا على كثير من الأمم الشرقية في أشياء وهي النفسية العلمية، فإنها في البربر أقوى، لبيئتهم الطبيعية المعتدلة التي تنعشها، وللحياة الاستقلالية التي كانوا عليها، ففرضت عل كل واحد ان يعتمد على نفسه، ويكد في سبيل عيشه؛ واربوا عليها في التمسك بالشخصية، فان البربر لا يذوبون في غيرهم، ولا يتجردون من شخصيتهم، وان عاشروا بيئة غير بيئتهم عهدا طويلة، وأزمنة مديدة، وتسلط عليهم قرونا من يعمل لإذابتهم فيه، وتجريدهم من شخصيتهم التي يمتازون بها.

كان البربر كالعرب على الأباء والشجاعة، وعلى الكرم والنجدة، وعلى الوفاء بالعهود، والحفظ للجوار، والإكرام للنزبل.

وكانوا على الذكاء في العقل، وعلى السعة في الخيال، وعلى الهيام بالمعرفة، يقسون العلم وأهله، ويغرمون بالعرفان، ويرونه اكبر سبب للتقدم، وأقوى عامل للشرف، ومضى سلاح في القضاء على الأعداء.

وكان البربر ذوي أذواق راقية رهيقة، يحبون الجمال، ويغرمون بالحسن، وقد يكون ذلك فيهم بيئة المغرب الجميلة، وطبيعة لساحرة، فلذلك مالوا إلى الحضارة الفينيقية وغيرها من حضارات الأمم التي أحبوا، فاخذوا بها، وزادوا فيها، وبلغت الكمال على أيديهم.

والبربر ذوو نفوس عملية ممتازة، فهم أهل الجد والنشاط، يكرهون الكسل والتواني، ويمقتون لخمول والركود، فهمهم دائما في لعمل المتواصل، ولذتهم في التعب وتسلق لعقبت، وقطع الأشواط لشقة في سبيل غاياتهم لكبرى، وقد كان اعتدال إقليمهم من أسباب النشاط الذي جبلوا عليه، والنفسية العملية التي كانوا عليها.

### حب البربر للنظم وكرههم للفوضى

والبربر لنفوسهم العملية ذوو نظام وترتيب للأّامور، ويكرهون الخلل والفوضى، ويقدمون النظام ويؤثرونه في كل الأشياء.

والبربر ذوو طموح وغرام بالمجد، ينزعون إلى الكمال، ويغامرون في سبيله، ويفارقون من اجله الأوطان، ويخوضون للوصول إليه لحج لحروب المستعمرة، ويتصدون للمهلك والأهوال، ان حب العمل والنشاط والمغامرة في سبيل الحج من طباعهم الراسخة، وخلالهم الثابتة، تشهد بذلك جميع ادوار تاريخهم الإسلامية وغيرها.



بشخصيتهم وتقاليدهم الحسنة. لا يستبد بهم لوجدان كالأطفال والنساء والأم الضعيفة فيجرون وراء البريق، بريق الجمرة ليقبضوا عليه، ويطلقون الجوهرة، وتستميلهم برقشة الأفعى فيجرون وراءه، زاهدين في أطواقهم الذهبية، وحللهم المزركشة.

### شجاعة البربر وفروسيتهم

والبربر ذوو شجاعة خارقة، وبطولة نادرة، فهم أهل الثبات في الحروب، والأقدام في المعارك الهوجاء، يطربهم صليل السيوف في الجماعم، وحممة الخيول في الجلاذ، لا يهابون العدو، ولا يخافون الحروب، ولهم اعتناء بأعمال الفروسية، وفنون الحرب، وطرف الجلاذ، يعلمونها لشبابهم، ويغذونه في نفوسهم بمختلف الألعاب، كإجراء الخيل، والجري، والوثب، وغير ذلك مما يقوي لنفس، ويحفظ عليها الأخلاق الحربية، وعادات الفروسية.

والبربر فرسان مغاوير، لهم غرام واعتناء بركوب الخيل، ولهم خيل يربونها تربية خاصة، ويدربونها، وكانوا يركبونها خاسرة بدون سرج ولا لجام، وكانوا يصرفونها ويوجهونها بقضيب يمسكه الفارس بيده فيلامس بيده الفرس فتتجه إلى لناحية التي يريد.<sup>21</sup> انها خيل وصفها البكري وبعض المؤرخين فقالوا: انها قصيرة ولكنها سبابة في الجري، خفيفة، صلبة، تقوم بفارسها في الحروب.

وكان أهل نوميديا مشهورين بالفروسية، وكان فرسان البونيقين في حروبهم من نوميديا، وكان فرسان حنبعل في حروبه بايطاليا من البربر والنوميديين، كما كان فرسان سبيون الإفريقي الذين انتصر بهم على حنبعل من نوميديا، ولما جاء الإسلام وجد المسلمون في البربر الفرسان الأبطال، والجند لشجعان ففتحوا بهم الأندلس، و جلبوا منهم مئات من الشباب إلى المشرق فسدوا بهم الثغور المهمة سيما ما يستلزم الجلد والقوة والثبات.

21 - انظر نقود الملك صيناقس في بابته ترى رسم فارس في فرس عارية.



## حب البربر للحرية والعدل وثورتهم على العبودية والطغيان

والبربر امة مجبولة على حب حرية، وشعب عجنت طينته بحب الاستقلال. لا يطيقون الاستبداد والاستعباد، ولا يخضعون للجبروت والطغيان. ولا يحنون الهام إلا لمن يمتلك قلوبهم بحسن معاملته واحترامه. فان خاشنهم وأراد ان يخضعهم بالقوة ثاروا عليه وكانت خشونة السيوف هي ما يلهمهم منهم، والحروب الهوجاء هي الصفحة التي تواجههم منهم. وقد ثاروا في قديمهم على كل الدول التي أرادت ان تخضعهم بالسيف. ثاروا على البونيقيين. وعلى الرومان. والروم والوندال. وعلى الأمويين والعباسيين وعلى الأغالبة والعبديين. وعلى كل الدول التي لم تعدل فيهم، ولم تنظر إليهم في احترام وإخوة.

انه حب لبربر للحرية والحياة الاستقلالية يهون اللامركزية في الحكم. لتتمتع كل ناحية باستقلالها، وتعتمد على نفسها في شؤونها. تصرفها على حسب مزاجها. فتزهر كل النواحي بتضافر الجهود، وتتقدم كل أنحاء الدولة باعتماد كل جزء على نفسه. ليس للدولة عليه إلا التوجيه الحكيم، وإلا القيادة اللطيفة. لا قهر ولا إرغام، وإنما تأمر كل قبيلة بما يوافق مزاجه، وتوجه كل قوم إلى الناحية التي استعدوا لها. وقد عرفت الدول البربرية العادلة كالدولة الرستمية والدولة الإدريسية هذا الطبع في الأمة البربرية. فكانت تتمتع فيها كل الجهات بكثير من الاستقلال. وتوكل إليها كثيرا من الأمور. كاختيار ولايتها، وقضاتها، وكثير من الأمور العامة التي تقبض عليها الدول المستبدة بقبضة من حديد.

ان هذا الطبع (حب الحرية والاستقلال) جميل في البربر. انه دليل على قوة شخصيتهم، واعتدادهم بالنفس. وثقتهم بها. ان كل الدول التي عاملت البربر على حسب مزاجهم واستغلت هذا الطبع الكرم فيهم قد وجدت البربر الشعب الطائع السلس العنان، والأمة الحية التي تعين الحكومة وتظاهرها في البناء والتشييد، فتسرع الدولة بنشاط البربر واعتمادهم على أنفسهم في طريق العظمة والأزهار. وتحقيق كل المثل العليا التي تعو إليها همتهما العالية.

ان البربر إذا ثاروا على الدولة وتمردوا، كما ثاروا على الأمويين والعباسيين والعبديين في القرون الإسلامية الأولى الأربعة، فلجبروت تلك الدول الظالمة، وازورارها عن الدين الحنيف في سياسة المغرب، ولاحقارهم للبربر وعدم مساواتهم، ولأنانيتهم وتعصبهم لنفسهم وجنسهم، ولعدم عدلهم، وتمردهم على الين الذي يتمسك به البربر ويغارون

عليه ويثورون للدفاع عنه. وليست ثوراتهم على تلك الدول وغيرها نخب الفوضى. وعدم لرضوخ للنظام كما يدعي الأوروبيون المغرضون.

لقد ردد هذه الدعوى الباطلة بعض مؤرخين المغاربة فوقعوا في غلط كبير، وعقوا أجدادهم. وظلموا أنفسهم، وكانوا على سفاهة من يلطم وجهه بما يدميه، ويخز عينه يفتقوها. أنهم لو اعملوا عقولهم في تاريخ البربر، وحقيقة البربر لعملوا ان ثوراتهم قبل الإسلام ثورات وطنية رشيدة، وثوراتهم في عهود الإسلام إنما كانت على الظلم والجبروت وعلى التمرد على لدين الحنيف في سياسة الشعوب، وإنما ثورات إسلامية قد وقفوا فيه. ودعاهم إليها الدين الحنيف الذي يتمسكون به ويغارون عليه.

لقد ثار البربر على الدول لباغية لتغطرسة الجاهلة بالسياسة. تلك الدول التي لا تعاملهم على حسب مزاجهم، ولا تحترمهم، والتي تجهل أو تتجاهل طبعهم، وتجبرهم على ان يعيشوا كالحوت في الماء، وهم صقور السماء، وتجب على طبعهم، وتمرغهم في الغبراء وهم نجوم الخضراء.<sup>22</sup>

ان ثورات المغرب على الاستعمار اللاتيني لحديث، ولروح الثورية الموجودة فيه، والشجاعة الممتازة التي يتصف بها، من وراثة أجدادنا الأمازيغ في دماء أهل المغرب وقد ضاعفت تلك الوراثة الزكية وأيدتها في عروق لمغرب الماء العربية التي أورتنا شجاعة العرب أيضا وإبائهم، وأجبتها قوة الإسلام الذي يورث لأبنائه العزة والأنفة والإباء!

## ثبات البربر على الصداقة ووفائهم البالغ للأصدقاء

ولبربر ذوو نقوس اجتماعية. يهون الاختلاط بالأمم، ويصادقون غيرهم، ولكن في تحفظ وأناة. أنهم لا يسارعون إليك فيصادقونك في ساعة، ويمتزجون بك في يوم، ويثقون بك ويطلعونك على أسرارهم في لحظة، كما تفعل الشعوب الضعيفة، بل هم لا يصادقون غيرهم إلا بعد الاختيار ولامتحان، وإلا بعد ومن طويل يعجمون فيه عوده، ويدرسون فيه أحواله، وإذا ارتضوا أحدا وأحبوه، اخلصوا له، وأزلوا الكلفة معه، وامتزجوا به كل الامتزاج، وفدوه بالنفس والنفيس، وثبتوا على حبه، ووفوا له كل الوفاء، وكانوا له على ما توجهبه الصداقة المتينة والحب المكين. لا يعبسون له إذا كشرت له الأيام؛ ولا يتغيرون إذا تغير له الدهر أنهم ذوو وفاء للأصدقاء، يشهد بذلك تاريخهم، وما نجد إلى الآن من حلة الوفاء والثبات على الحب في أحفادهم. وهل المغرب إلا صورة لأولئك الأجداد، وهل دماؤه إلا ماؤهم، وهل خلاله إلا وراثتهم سقلها الدين الحنيف، وأيدتها الدماء العربية التي امتزجت بدمائهم في عروقنا؟!!

22 - الخضراء السماء كما هو مشهور في العربية، وكما ورد في القاموس.

لقد شهد ابن خلدون بالوفاء للبربر وجعله من خلالهم الأصيل. وهو اعرف بهم لقد عاش دولتهم في المغرب. وحفظ من أخبارهم. وعرف من شخصيتهم ما لم يعرفه غيره من المؤرخين الذين بقيت لنا آثارهم.<sup>23</sup>

وقد الصق الشيخ عبد الرحمن الجليلي بهذا الجنس الكريم تهمة هم ابعد الناس عنها. لقد صف البربر بعدم الوفاء وأكد هذا الوصف بالدعوى الباطلة. فخالف التاريخ الصحيح فيما روى. وخالف الحضرة الذي نرى فيه خلال أجدادنا الأمازيغ فيما اثبت. وعق أجداده. ولم يكن على البر ولا على الإنصاف. وارجل حكما خاطئا دل على بساطته في التفكير. وعلى ضعفه في الدراسة. سيما دراسة الأمم وتحليل لنفوس. وهو ما يجب على المؤرخ ان يحسنه. لتصبح أحكامه. ويتحفظنا بالجيد في التاريخ. ويأتي بما يليق بالعصر. وينفع المجتمع. ويزيده صفاء وإخوة. وخابيا. فيكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا. قال الشيخ عبد الرحمن الجليلي في أثناء حديثه عن البربر في كتابه (تاريخ الجزائر العام) : «سال سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير عن البربر فقال: يا أمير المؤمنين هم أشبه الناس بالعرب لقاء، ومجدة، وفروسية وسماحة، وبادية، غير أنهم اغدر الناس لا وفاء لهم!» هذا كلام موسى بن نصير فقال بعهد الأستاذ عبد الرحمن الجليلي يؤكد هذه التهمة. ويصادق على هذه الدعوى. ويشتمل الحاضر بما وصف به موسى بن نصير ماضي أجدادنا العتيد. فكان أكثر حقا من موسى. وأوقع في الخطأ منه. وأحق باللوم والتعنيف. لأن موسى حقد على البربر الذين يراهم جنسا بعيدا عنه لثوراتهم عليه لظلمه. وازوراره عن طريق الدين. أم عبد الرحمن الجليلي فيسئ إلى أجداده. ويصف حاضر المغرب الذي وجزء منه. والذي لم ير من إلا الرعاية الحسنة. وإلا الحضارة الكريمة حتى صار من المثقفين. واستطاع ان يسمك القلم فيكتب. قال الشيخ عبد الرحمن الجليلي مؤكدا وصف موسى بن نصير لأجداده البربر بعدم لوفاء: «ويشهد الله ان موسى لصادق فيما قال. وما كان تصديقي إياه إلا عن تجربة واختبار طويل. ودراسة عميقة لنفسه هذا الشعب في جميع مواقفه قديما وحديثا!!»<sup>24</sup>

لقد استعمل الأستاذ عبد الرحمن الجليلي عقله مرة واحدة في كتابه فجاءنا بهذه الفلسفة البديعة، وأخفنا بهذا الاختراع العظيم. هلا التزم عادة النقل التي واظب عليها في كتابه. وسكت عن هذا الاستنتاج الذي يدل على ضعف في التفكير. وجهل بالتاريخ. ان موسى بن نصير قصد بما وصف به لبربر ثوراتهم عليه وعلى الدولة الأموية التي شرحنا ظلمها للبربر. وسياساتها الخاطئة للمغرب. ومخلفة بعض عمالها وملوكها

23 - انظر شهادة ابن خلدون بالبربر للوفاء وبقيّة الأخلاق الكريمة في ج 6 ص 104 سطر 11 ط بولاق بمصر.  
24 - تاريخ الجزائر العام ج 1 ص 50 ط المطبعة العربية بالجزائرية 1372 هـ 1953 م.

لدين الله. ولما توجيه الحنكة السياسة في معاملة البربر وسياستهم.<sup>25</sup>

لقد كان موسى بن نصير بعفته وحبه للمادة. واحتقاره للبربر أول عامل أموي خلق العداوة القائمة في قلوب أهل المغرب للأمويين. وما ثورات المغرب العارمة على الأمويين في عهد هشام بن عبد الملك بعد موسى بن نصير. وثورته العارمة على العباسيين بعد نشأة دولتهم إلا من عداوة البربر وحقدهم على الأمويين والعباسيين لظلمهم. وتجبرهم. ومخالفتهم للدين في سياستهم. وكان أول من وضع أساس هذه العداوة بظلمة وتجبره. ومخالفته للدين من عمال الأمويين هو موسى بن نصير!

لقد كان البربر يكرهون موسى بن نصير. وكانوا يتحينون الفرص. ويرقبون غرته للوثوب عليه. وتطهير المغرب من الظلم والتعصب والتكالب على المال. وكان هو على حذر منهم لما يعرف من عداوتهم. وكان على أهبة الحرب دائما. فلهذا وصفهم بعدم الوفاء. ومآثراتهم على الأمويين. وما ينوون من الثورة عليه من عدم الوفاء ولكن ما يدعوهم إليه أبأؤهم وطبعهم الكريم. وما يندبهم ليه الين الحنيف الذي يأمر بإزالة الظلم وقمع الظالمين.

لقد وصف الرومان والروم البربر بحب لفوضى وعدم الرضوخ. لما رأوا تمردهم على استعمارهم وثوراتهم الوطنية الموفقة عليهم. وجاء موسى بن نصير فوصفهم بعد الوفاء لما رأى استعدادهم للثورة عليه.

لقد ثار البربر بعد موسى على الأمويين مرارا فهل كانت ثوراتهم لعدم الوفاء. وهل حروبهم لهم قد نشأت عن غدر وعدوان؟

كان لبربر في الدولة الأموية يثورون بعد الهدوء. ويضطرمون على الدولة نارا بعد السكون. ويعلمون للخروج من الظلم وسحق الجبروت كلما وجدوا لذلك سبيلا. وليس ذلك غدرا وعدم وفاء بالعهد التي يعطونه للوالي على السكون والطاعة وعدم الثورة. ولكنه حكمة المستعبد الذي يخضع أمام المستعبد المستبد. ويداربه بالطلاوة. ويريه جانب الخلاوة. ريثما يستعد لقطع أغلال الاستعباد ويجد فرصة للثورة على الظلم والجبروت. وإذا وجد فرصة للثورة لم يفلتها. فيزيج عنه الظلم والاستبداد والاستغلال ويبوء بحياة الكرامة والعزة. هذا ما فعله البربر لينعموا بالعدل الإسلامي الذي يرفرف عليهم. ويعيشوا أحرارا تحت علم الدولة الإسلامية المغربية التي تقوم على الإمامة الإسلامية. وتجدد للبربر المتمسكين بالدين كل التمسك عهد الخلفاء الراشدين!

25 - انظر ثورات البربر على الأمويين وأسبابها في الجزء الثاني ص 232 من كتابنا هذا الطبعة الأولى 1382 هـ.

هذا هو ماضي البربر الذي شاهده الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي فلم يفهم مغزاه، ولم يعرف أسراراه. فوصف البربر ظلما بعدم لوفاء! أما الحاضر فلعل الأستاذ قد شاهد بعض الأفراد الذين نشأوا في العاصمة في عهد الاستعمار. فتلطخوا برذائله، وجردهم من دينهم. وأرسل فيهم سموه، وصبهم في قالبه، وأثرت فيهم العاصمة ببيئتها. فابتعدوا في طباعهم عن أخلاق آبائهم واجدهم الإسلامية، فبقوا مسلمين بربري في أسمائهم وحدها؛ فرأى الأستاذ سلوكهم وتجردهم من الدين. فلم يرتض سيرتهم. ولعلهم قد واعدوه فاخلفوا. ولعله قد ائتمنهم فخانوا، فاغتاز غيظا كبيرا، فحكم على جنسهم كله بنا رأيت!

إذا كان هذا هو الذي أثار ثائرة الأستاذ فلطخ بنعاله هاما كريمة، ورفس برجليه وجرحها وقورة محبة. هي وجوه أجداده الذين تنكر لهم، فما أبعد عن الصحة في الأحكام، وما اضعف تفكيره! لقد ذهب إلى مسارج الخيل الكريمة، فشاهد أبعادها فظنها أفراسا تصهل وترعى، فقال كل الخيل من جنس ما أرى!

انه ليس في عموم المغرب بربريا خالصا أو عربيا خالصا سيما سكان المدن والقرى القريبة من مدن. أنهم جميعا أبناء لبربر والعرب. لقد امتزج الجنسان واختلطت دماؤهما في عروقنا. وان من بعد نفسه من آل المغرب كالأستاذ عبد الرحمن الجيلالي عربيا وغيره بربريا ليخطئ الخطأ الكبير. لعل الأستاذ قد عد بربرا خالصا من يتكلم البربرية من أهل الجزائر والمغرب. حتى هؤلاء جمهورهم يحملون الماء العربية في عروقهم. فأين البربر الذين عاشهم أخونا عبد الرحمن فحكم عليهم ذلك الحكم الظالم؟! لو زار الأستاذ المناطق التي تتكلم البربرية كوادى ميزاب في جنوب الجزائر، وجمال أوراس، وجمال القبائل، وجمال نفوسة، وجربة، والريف في المغرب الأقصى، وغيرها من المناطق الكثيرة التي تتكلم البربرية. وشاه تمسكها بالدين، وغيرتها عليه، وتمسكها بالأخلاق الإسلامية، سيما الوفاء بالعهود، والإخلاص في المحبة، وغيرها من الأخلاق الإسلامية العظيمة؛ أو زار تلك المناطق التي دافعت الاستعمار عن نفوسها فلم تتلطخ بقاعها بمفاسده كالعواصم، لعدل عن رأيه في البربر، والحكم بأنهم سادة الأوفياء، وأنهم العنصر المبارك القوي الذي كان أوتاد الدين والعربية في لمغرب فلم يستطع الاستعمار اقتلاعهما، وأنهم في بقية ميادين النضال الوطني كذلك، وفي ميادين البناء والتشييد كلها. هذا ما يدركه ويحكم به كل عالم بتاريخ المغرب، وهذا ما يحكم به كل عالم بحاضره، وكل من يعمل عقله لا أوهامه وعقائده التي ورثها من الكتب المغرصة، والمصادر المتعصبة التي شوهدت تاريخ المغرب وأفسدته.

لقد وقع الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه (تاريخ الجزائر العام) في أغلاط كثيرة من هذا النوع. ونحن إذا تجاوزنا عما نقله من كتب لتاريخ المغرصة وقلدها فيه من ادعاءات باطلة حُط من شأن أجداده البربر. ولم تتعرض لها لأنها كثيرة تستلزم صفحات كثيرة، فإننا نحاسبه الحساب العسير على كل شيء يدعيه هو ليحط به من شأن هذا الجنس الكريم الذي يجب على كل مغربي ان يصونه صيانة الأبناء البررة للآباء، ويحفظه حفظ الحاجر للمقل!

### ثناء ابن خلدون على البربر

لقد كتب عن البربر مؤلفون كثيرون من عرب وإغريق ورومان، وكلهم أثنى على البربر وأعجب بهم. ومن عاشهم، وسبر أغوارهم، وعرف كل المعرفة تاريخهم، وعاش في دولهم، وشاهد أمجادهم العلامة ابن خلدون. فإليك جزءا صغيرا من شهادته لهم، وثنائه عليهم، ليكون نصوصا وحجة لما وصفت به البربر في هذا الباب.

قال العلامة ابن خلدون: «وأما تخلق لبربر بالفضائل الإنسانية، وتنافسهم في الخلايا الحمية، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم، مرقاة الشرق والرفعة بين الأمم، وسبب المح والثناء من الخلق، من عز الجوار، وحماية النزيل، ورعي الذم، والوفاء بالقول والعهد! والصبر على المكارم، والثبات في لشدائد، وحسن الملكة، والأعضاء عن العيوب، والتحافي عن الانتقام، ورحمة المسكين، وبر لكبير، وتوقير أهل العلم، وحمل الكل، وكسب المعدوم، وقرى الضيف، والإعانة على النوائب، وعلو الهمة، واباية الضيم، ومشاقة الدول، ومقرعة الخطوب، وغلاب الملوك، وبيع النفوس لله في نصر دينه، فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف، لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون أسوة لمتبعيه من الأمم. وحسبك ما اكتسبوه من حميدها، واتصفوا به من شريفها، ان قادتهم إلى مراقى العز، وأوفت بهم على ثنايا الملك، حتى علت على الأيدي أيديهم، ومضت في الخلق بالقبض والبسط أحكامهم الخ...»<sup>26</sup>

ولعل القارئ يقول: ان الأمام ابن خلدون يريد البربر في عهد الإسلام لما ورد من وصفه لهم ببيع لنفوس لله في نصره دين، ولكنه من يقرأ الباب كله يعلم ان يريد البربر في كل عهودهم قبل الإسلام وبعده، ان وان أمكن ان يعني ابن خلدون لبربر في العهد الإسلامي فحسب، فان الفروع دليل على الأصول، والأحفاد مظهر للأجداد، والشخصية العظيمة، ولعقبريات الكبرى تورث ولا تكتسب، انها لا تظهر فجأة، ولا تولد كاملة، وإنما تنمو في الآباء، وتكمل في الأبناء، وإذا رأيت جيلا كريما فاعلم انه من الأصول لكريمة.

ومن أبطالهم في الحروب وفي الدهاء يوغورطة، ويوبا الأول، وتقفارينا، وفرموس، وجلدون. هؤلاء الصناديد الذين قارعوا أمة الرومان، وركبوا بالهزائم في كل أنحاء المغرب، ولولا خاسد البربر وتنافسهم لكانت أمام قواتهم كجدار الطين في وجه البحر الهائج، ولولا تفرقهم وعم الحادهم ما استطاع الرومان ان يحتلوا المغرب ويستعمروه.

ومن عباقرة البربر في العلوم يوبا الثاني. لقد كان من العلماء الكبار في عصره وكن لرومان والإغريق يجلونه ويفتخرون بنبوغه، وقد أقاموا له التماثيل في الميادين الكبرى تخليدا له، واعترافا بجميله. وقد ألف يوبا الثاني باللاتينية كتبا في التاريخ وفي الطبيعة وفي النحو والموسيقى كانت من المراجع الكبرى عند الإغريق والرومان. «ومن رجال العلم أيضا فرنطونس. كان أستاذ الإمبراطور مرقس أوراليوس (الروماني) وله سمة بين جميع الطبقات في الفن الهندسي. وهو مولود بقرطة»<sup>28</sup>.

ومنهم ابوليوس كان مخترعا كبيرا قال بيروني: «هو من أكمل الرجال وأعظمهم فائدة في عصره، وأحسن وصف له وأصدق ان تقول: هو رجل مخترع مؤسس لمبان كثيرة» وأصل ابوليوس من «مداوروش» في شرق الجزائر.

ومن رجال العلم والدين الذين نبغوا بعد الميلاد وبلغوا الذري الرفيعة في العلم، وفي الفصاحة والبلاغة، وفي التضلع في اللغة اللاتينية، القديس اغسطين. ولد بتغاست (سوق هرس) في شرق الجزائر، في القرن الرابع المسيحي وتعلم بمدوروش، وفي قرطاجنة، وعين قسابهيون (عنابة) في شرق الجزائر: قال بيروني: «ان اغسطين اخطب خطيب لطيني، واكبر مفكري كل زمان».

ومن علماء البربر وأعلامهم في الدين دونتوس مؤسس المذهب المسيحي الذي زاحم مذهب الارثوذكس في المغرب، وانتشر انتشارا كبيرا في البربر.

وق بلغ البربر بطموحهم وعلمهم ودهائهم ونضوجهم في السياسة ان كان منهم أباطرة جلسوا على عرش روما، وهي لدولة المتعصبة لجنسها، الشامخة على غيرها، سيما الأمم التي تستعمرها مثل البربر. لقد كان (سبتمس سورس) البربري إمبراطورا لرومة في سنة 193 ميلادية، وقد خلفه على العرش روما ابنه (ثرقلا) وقد اعتنى هذان الإمبراطوران بالمغرب كل لاعتناء، وأنصفا البربر وساووهم بالرومان، فازدهر المغرب في عهدهما، وأقبلت عليه الأيام البيضاء، هذه هي بعض الشخصيات البربرية قبل الإسلام، أم في العصور الإسلامية فان علماءهم، وشعرائهم، وساستهم، وملوكهم، وزهادهم،

28- تاريخ الجزائر للميلي ج 1 ص 225 ط بيروت 1963.

لا يمكن ان يكون من الأزدال. ثم قال ابن خلدون يصف البربر في العصور الإسلامية: «وأما إقامتهم لمراسم الشريعة، وأخذهم بأحكام الملة، ونصرهم لدين الله، فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصيانتهم، والاستفتاء في فروض أعيانهم، واقتفاء الأئمة في الصلوات ببواديبهم، وتدارس القرآن بين إحيائهم، وحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم، وإصغائهم لأهل الخير والدين من أهل مصرهم للبركة في آثارهم، وغشائهم البحر أفضل المرابطة ولجها، وبيعهم النفوس الله في سبيله، وجاد عدوه، ما يدل على رسوخ إيمانهم، وصحة معتقداتهم، ومتين ديانتهم التي كنت ملاكا أعزهم، ومقادا إلى سلطانهم وملكهم». ثم قال ابن خلدون: «وأما وقوع الخوارق فيهم، وظهور الكاملين في النوع الإنساني من أشخاصهم، فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين، أهل النفوس القدسية، والعلوم الموهوبة، ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة والكهان المفطورين على الاطلاع على الأسرار الغيبية، ومن الغرائب التي خرقت لعادة، وأوضحت أدلة القدرة، ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيل، وكرامته لهم، بما آتاهم من جماع الخير، وأثرهم به من مذاهب الكمال، وجمع لهم من متفرق خواص الإنسان الخ...»<sup>27</sup>.

تلك هي بعض أوصاف البربر الخلقية والعقلية ق جلونها، وجلاها ابن خلدون في هذا الباب، وهي تصور شخصيتهم العظيمة، وأصلهم الكريم، فما هي الشخصيات التي نبعث منهم قبل الإسلام في مختلف الميادين، فكانت مظهرا لشخصيتهم، ومن الأدلة الكبرى على عظمة هذا الجنس، واقتعاده الذري في المكارم قبل الإسلام بقرون كثيرة؟

### عباقرة البربر وأعلامهم قبل الإسلام

ان البربر من الأمم التي سبقت إلى الحضارة، وتثقفت وتعلمت، وقد انشأ البربر قبل الميلاد دولا كبيرة، ونبغ منهم رجال في مختلف الميادين، ونحن لا نستطيع ان ذكر كل من ورد ذكره في كتب التاريخ من ملوكهم وعلمائهم، ورؤسائهم، ولكن نقتصر على طائفة منهم، لتعلم صدق ما قلناه وقاله ابن خلدون من عظمة الأمة البربرية وسبقها إلى الحضارة والعلم، واتصافه بكل الخلال الحميدة، لما كانت اغلب الأمم قبل الميلاد على سذاجة البداوة وعلى الجهل والفوضى.

كان البربر عباقرة في كل فن، في السياسة وفي الحروب، وفي مختلف العوم، فمن شخصياتهم العبقرية في السياسة الملك غولة، وصيقاقس، ومصينيسا، ومصيبسا،

27 - العبر لابن خلدون ج 6 ص 104، 105 ط بولاق بمصر.

ونبغائهم في كل فن لا يحصون. ان كتب الطبقات والتاريخ ملأى بهم. سيما السير للشماخي. والطبقات للدرجيني. وسير الأئمة لأبي زكرياء. ومعالم الإيمان للدباغ. ورياض النفوس للمالكي وغيرها كثير.

### ظلم المؤرخين القدماء للبربر

تلك هي شخصية البربر وبعض أعلامهم الذين يمثلون تلك الشخصية. وقد وقفنا في هذا الباب الذي يصور حقيقة لبربر وقفة. لان البربر امة مظلومة في التاريخ. ان ثوراتهم لتحريرية على الدول التي استعمرتهم. الرومان والوندال. والروم. وقد أطلقت السنة هؤلاء المستعمرين في البربر فوصفوهم بما ليس فيهم من العيوب. وقال فيهم مؤرخوهم قول المحنق المغتاز والعدو الكاشح. وملأوا كتبهم بالأكاذيب على البربر فجاء أحفاد الرومان. هؤلاء المستعمرين اللاتينيون الذين تسلطوا على المغرب في القرن التاسع عشر. وفي القرن العشرين الميلاديين فرددوا تلك الأكاذيب. وتلك الدعاوي على البربر. وزادوا فيها. وصوروا ثوراتهم التحريرية الشريفة على غير حقيقتها وعللواها بغير سببها. وقالوا أنهم ثاروا حبا للفضي. وميلا إلى التخريب. ورغبة في السلب والنهب. وصوروهم كما يسول لهم حقهم الموروث. وغيظهم على هذه لجانال المغربية التي يرون حتوفهم وزوالهم عن المغرب كامنا فيها.

وثار البربر على الأمويين والعباسيين في المغرب. لما ظلموهم وجبروا عليهم وحادوا عن دين الله في سياسة المغرب. ثار عليهم البربر ثوراتهم العارمة. وضربوهم الضربات القاصمة. وحرروا منهم. واستقلوا. وأنشأوا دولهم الإسلامية العادلة التي تتمسك كل التمسك في السياسة بالدين. وتعمل لإسعاد لمغرب وازدهاره<sup>29</sup> فحقد هؤلاء العباسيون والأمويون وغيرهم على البربر. وبسطوا فيهم السنة السوء. وصورهم على غير حقيقتهم. وملأوا كتب التاريخ بالأكاذيب على البربر والدول البربرية العادلة. وجاء من بعهم فاعتر بما ورد في كتب التاريخ القديمة المسمومة. فقلد أولئك المؤرخين المغرضين في دعاويهم الباطلة على البربر. فصار البربر هم الأمة الكريمة الصالحة المظلومة في كتب التاريخ الإسلامية القديمة. وفي الكتب الحديثة المقلدة أيضا.

وما جعل الدعاية السياسة المغرضة تؤثر في البربر قضاء الدول المستبدة على تراث الدول البربرية الإسلامية الأدبي والتاريخي بالخصوص. فانعدم جل المصادر التاريخية

29 - انظر ثورات لمغرب على الأمويين في الجزء الثاني من هذا الكتاب من صفحة 319 إلى 232 وثوراته أيضا على العباسيين في الجزء الثالث من هذا الكتاب من صفحة 42 إلى 82 الطبعة الأولى 1382هـ.

النزيهة التي تصور حقيقة البربر وتخلد أمجادهم ومآثرهم التي جعلهم من أكرم الأم التي يفتخر بها العالم الإسلامي.

### عيوب البربر وأمراضهم النفسية

تلك هي بعض مآثر البربر. وصفاتهم الحسنة قد ذكرناها في هذا الباب. فما هي صفاتهم السيئة. والداء الذي قتلهم. وهدم دولهم قبل الإسلام. وكان أيضا سببا لتداعي كثير من ولهم الإسلامية؟ انه داء البشر جميعا. والطبع القتال الذي هدم لدول كلها. انه الحسد والحقد. هذا الحسد وهذا الحقد اللذان استطاع الرومان بهما ان يفرقوا جماعتهم. فضعفوا. فتغلبوا عليهم فاستعمروا بلادهم. وأججوا عليهم نيرانهم وويلاتهم. وصبوا عليهم كل بلاء. فلو خلت صدور ملوكهم من الحسد لاخذوا. وتغلبوا على الرومان وكانوا هم الأمة التي تصرع روما التي التهمت جيرانها كلهم. فان البربر كنوا في الشجاعة. والفروسية. والاستماتة في الحروب أكثر من الرومان. ولكن الحسد فرق صفوفهم. وأبطل خصائصهم العظيمة. وجعل شجاعتهم وقوتهم عليهم بلاء. فان الأخ أصبح يغمد سيفه في أخيه لا في عدو الوطن. ويفكر في القضاء على أخيه ليخلو له الجو. ويستأثر بالملك. قد أعماه حب الرئاسة عن أخطار المستعمرين التي خدق به. لا يكتسب ود أخيه بالصفاء والإيثار. فيستعين به على عدو المغرب الذي يترصب بهم الدوائر. ويستعد للانقضاض عليهم. ليجعلهم تحت قدميه.

ان لبربر كنوا امة متحاسدة لأنهم شعب قوي الشخصية. معتدون بأنفسهم كل الاعتداد. كل منهم يرى نفسه أولى بالتقدم والرفعة. وبالزعامة. والرئاسة. فكان الحسد فيهم أكثر.

ومن عيوب البربر وآفاتهم الكبرى الحقد. فإنهم لا ينسون الإساءة بسرعة. بل يحقدون. فيفرق الحقد جماعتهم. وينغص حياتهم. ويحرمهم من نعمة الهناء والطمأنينة التي حفهم الله بأسبابها في المغرب الجميل.

ان الحقد توأم الحسد ينبعان من أصل واحد. وتخلقهما في النفس غريزة واحدة هي غريزة السيطرة وحب الظهور القوية في البربر لقوة شخصيتهم. أنهم يعتدون بأنفسهم كل الاعتداد. وترى البربري يرى نفسه أقوى من ان يظلم أو يهان. واعز من ان يهم له حق. أو تناله إساءة احد. وإذا أذنب إليه خوه اغتاز واحتدم فينتقم أو يضمم الانتقام.

## الدولة البونيقية

146-814 ق.م

ان البربر وان كانوا يحقدون إذا غضبوا فإنهم لا يغضبون بسرعة. أنهم يضبطون أنفسهم. فغضبهم بطئ. لا يشتعلون بسرعة. وإذا اشتعلوا فإنهم لا ينطفئون بسرعة. أنهم كالفحم الحجري بطئ الاشتعال بطئ الانطفاء إذا تأجج ناراً !

وما أروته الاعتداد بالنفس. لقوة الشخصية للبر التمسك بالرأي إلى درجة العناد. أنهم يناضلون عن آرائهم في قوة وثبات بالحجة والبرهان. كما يناضلون عن أوطانهم بالسيف والسنان. فهم في ميدان المناظرة على الثبات والقوة وشدة الشكيمة التي يتصفون بها في ميادين الحرب والقتال.

وقد غير الإسلام من نفوس البربر. وكسر من حدة الحسد والحقد في نفوسهم. واشربوا نور الله فغسلهم من هذا الوضر. وأزال السبب الذي كان يمنعهم من الاتحاد. ويعوق المغرب الكبير من التأزر. فأصبحوا بنعمة الإسلام إخواناً. وصاروا بفضل بنياناً مرصوصاً بشد بعضه بعضاً. فكونوا دولهم الإسلامية العظيمة التي رفعت راية الدين والعدل الإسلامي وأصبحت غرة وضاحة في جبين الأمة الإسلامية.

تلك هي شخصية البربر كما يمثلها تاريخهم في مختلف ادوراهم. قد آثارنا ان نبسط الكلام فيها في هذا الباب فلا تقتصر على حالهم في العصر الحجري وفي أيام طفولتهم لكي لا عود إليها في الأبواب التالية. فان العودة تتداخل بها الأبواب. ويتوزع بها الكلام في الموضوع الواحد في فصول ثنتي فيسرع إليه النسيان. هذه الشخصية العظيمة التي سترها في الأبواب المقبلة جلية في أعمال البربر في البناء والتشييد. وفي النضال والجهاد الوطني. وفي كل الأعمال التي أخرجت البربر من البداوة إلى الحضارة. ومن الجهل إلى المعرفة.

لقد كان أجدادنا الأمازيغ في ظلمات الجهل وعلى بساطة العهود الحجرية. فمن الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور. وكان الأستاذ المخلص البار الذي ثقفهم واخذ بأيديهم إلى القمم الرفيعة؟ من هذا الجنس الكريم الذي اختلط بالبربر اختلاط ماء المزن بالتربة الكريمة فأخصبت. وطلع عليهم طلوع الصباح الوضاح فمسح عيونهم بمناديل النور فتفتحت للحياة؟ أنهم الفينيقيون الكرام. فما أصلهم وأين موطنهم. ومتى جاءوا إلى المغرب فأسسوا دولتهم البونيقية التي كانت للمغرب جهاز الطائرة العتيدة. ركبته الله فيه. فهدر كالرعد. وكان له دوي في العالم أناله الشهرة الواسعة وانطلق كالعاصفة فوصل الغابات الكبرى وتبوأ القمم الشماء !